الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أحمد بن بلّة –1– وهران

قسم اللغة العربية و آدابها

مشروع:بلاغة القرآن دراسة في الأساليب.

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير بعنوان:

# أثر القراءات القرآنية في إنتاج تعدّد الدلالات

# دراسة وموازنة.

إعداد الطالب:

جلول دواجي جمال.

تحت إشراف الدكتور:

منصوري ميلود.

لجنة المناقشة: 2015/06/24

الأستاذ الدكتور:بوعزة عبد القادر.....جامعة وهران.....رئيساً

الأستاذ الدكتور: منصوري ميلود.....جامعة وهران.....مشرفاً مقرراً

الأستاذ الدكتور:عبد الخالق رشيد.....جامعة وهران.....عضواً مناقشاً

الأستاذ الدكتور:زرّادي نور الدين.....جامعة وهران.....عضواً مناقشاً

الموسم الجامعي:2015/2014.

**قال الله تعالى:**

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾

**– سورة القمر –**

# إهداء

إلى والدي الكريمين اللذّين ربياني و وهباني الحياة

و جعلا لي من كلّ درب طريقاً إلى الجنّة ،و من كلّ صعب سبيلاً يسيراً.

إلى الرياحين الطائرة محمد،عدة ،نور الدين،إلى الأخوات الكريمات

إلى الصفحة الطاهرة التي كانت لي سنداً من حيث لم أحتسب

زوجتي العزيزة.

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع الذّي لا يرقى إلى المستوى المطلوب.

# شكر و تقدير

**قال الله تعالى:** قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ النمل (40).

أتقدم بوافر الشكر و التقدير إلى أستاذي الكريم الدكتور منصوري ميلود، لتفضله بالإشراف على هذه الأطروحة ،دون أن أنسى الأستاذ المحترم بوعزة عبد القادر رئيس المشروع الذّي أفادنا بالتوجيه و الإرشاد،كما أتقدم بالشكر إلى كلّ من ساندني و لو بكلمة طيّبة ،و إلى كلّ من أدلى بدلوه في إخراج هذه المذكّرة.

## مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين و الصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيّدنا محمد الصادق الأمين مبلّغ الكتاب العربي المبين من لدن عزيز حكيم وبعد.

من حكمة الله سبحانه وتعالى أن جعل القرآن الكريم يسير الذّكر و القراءة ،و اختار لذلك أساليب تتوافق و فصاحة اللّسان العربي الذّي تعدّد بتعدد لهجاته ،فشاء سبحانه وتعالى أن تتعدّد قراءاته و أوحى إلى نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم بأن يعلّم أمته حديث الأحرف السبعة الذّي يعتبر المصدر الرئيس للقراءات القرآنية التي تآلفت معانيها في نسق لا يدركه القاريء إلاّ إذا غاص في أغوار علم سخّر الله رجالاً لخدمته و استظهار مغزاه،فانصرفت طائفة منهم لجمع القراءات و أخرى لتصنيفها و التثبّت من صحتها،فكان لهم فضل السبق و الرّيادة في ترسيخ القواعد الأساسية لعلم القراءات ،فأصبح هذا العلم مجمع العلماء من باحثين و قراء، حيث تشاركت كلُّ العلوم العربية في تبيان مقاصده،فاتخذه اللّغوي برهاناً على قاعدته أو حجة لمذهبه، و اعتمده الفقيه في استنباط الأحكام أو ترجيح حكم على آخر من خلال التفسير،و وجدت فيه الطوائف الإسلامية مرجعاً لنصرة توجّهها و نشر أفكارها، وبرز من خلال هذه الاتجاهات اتجاه يعتمد على التحليل اللغوي و النحوي لإبراز المعاني المترتبة على هذا التعدّد،فأصبح بذلك ثروة غنيّة و كنزاً من كنوز التشريع الإسلامي لما يحويه من معانٍ ودلالات ذات أثار قيّمة على جميع المستويات، فجعله **السيوطي** (**911**هـ) وجهاً من أوجه الإعجاز القرآني،حيث أضاف لبنة من اللّبنات الأساسية في الدراسات القرآنية.

و عليه فإنّ الأمر تخطى الغرض الذّي أمر من خلاله نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم بقراءة ما تيسّر من القرآن بالأحرف السبعة تهويناً و تخفيفاً على أمته إلى ما هو أبعد من

ذلك فهماً و تحليلاً و استنباطاً للمعاني و الدلالات المكتنزة في هذه الأحرف ،فالكلمة القرآنية هي بنية مركبة خاضعة لعدّة مستويات أولها المستوى الصوتي الذّي يعتمد بالدرجة الأولى على مخارج الحروف ،و قد رأى علماؤنا أنّ أي انزياح للموجة الصوتية أثناء اجتماع الصوامت – التي هي مكونات الكلمة- يؤدي على تغير في الدلالة و إن كان المعنى الأصلي للكلمة ثابتاً ،و القراءات القرآنية في حدّ ذاتها تجمع مجموعة كبيرة من الانزياحات فنجد مثلاً من القراء من يحقق الهمز ومنهم من يخفف ،و منهم من يميل و منهم من يحرّك ومنهم من يفخّم و آخر يرقّق،و غيرها من الثنائيات التي جمعتها القراءات.

و على المستوى الصرفي نجد أنّ القراءات القرآنية قد مسّت هذا الجانب أيضاً من خلال تلك التغيرات في الحركات الإعرابية و غير الإعرابية ،بالإضافة إلى الإبدال في الحروف إمّا بالإثبات أو الحذف.

و لكن هل يمكن لهذه التغيرات التي تعرفها الكلمة على هذه المستويات في إطار القراءات القرآنية أن يكون لها أثر في إنتاج الدلالة أم هي مجرد تغيرات سببها رسم المصحف العثماني و لا علاقة لها بالمعنى المقصود من الآيات؟ ،و إن كانت كذلك فهل تحمل هذه الدلالات اختلاف في ذات القرآن و تناقضاً بين الآيات؟، ومن هذا المنطلق كان عنوان البحث :

**"أثر القراءات القرآنية في إنتاج تعدد الدلالات دراسة و موازنة"**

جمعت من خلال صياغة العنوان بين ما هو ثابت (**القراءات القرآنية**) وما هو متغيّر (**الدلالة**) ،باعتبار أنّ الدلالة يمكن أن يطرأ عليها تغير فاتحة أفقاً رحباً يمكن تسميته "**أفق الانتظار**" ،وهو ما يجعل بعض الكلمات القرآنية متعدّدة المعاني في ذهن الإنسان كونها لا تستقرّ على معنى إلاّ و أتى زمن تطلّق فيه ذلك المعنى لتتزاوج بمعنى آخر ،ما يطلي لون الطرافة في البحث و الاستمتاع بتقليب اللسان و تدوير السمع على كلّ الجوانب المتاحة حتى ترسو على وجه يقبله ذهنك و يستلذّه لسانك ،و تطرب له أذنك.

و قد حاولت من خلال هذه الدراسة الجمع بين الماضي و الحاضر أو بين الأصالة و

الحداثة، و يعنى هذا الموضوع بالقراءات العشر الصحيحة المختلفة اختلافاً يظهر من خلاله اختلاف في الدلالة ،و كان المنهج الوصفي هو ما اعتمدته من أجل إبراز هذا الأثر في الإنتاج الدلالي للقراءات باعتبار أنّه يحوي عدّة آليات مساعدة للوصول إلى نتيجة ،كما أنّه منهج يعطي الباحث متسعاً كبيراً من أجل معالجة عدّة إشكاليات طرحتها القراءات القرآنية.

و لقد كان لكلّ ذلك أثر في وضع الخطة المناسبة التي سار عليها البحث حيث قسّمت البحث إلى فصلين يندرج تحت كلّ فصل خمسة مباحث و هي موزّعة كالآتي:

**الفصل الأول: المسار التاريخي للقراءات القرآنية.**

فلا يمكن لأي باحث في مجال القراءات أن يتجاوز النظر في تاريخ القرآن و القراءات و ذلك من أجل الوصول إلى أصلها و حقيقتها ،و قد طرحت في هذا الفصل عدّة إشكاليات جعلتها في قالب ثنائيات ،فكان المبحث الأوّل بعنوان **القراءات بين المثال و الواقع** ،عالجت من خلاله قضية ربما بقيت من المتشابه إلى يومنا هذا و ستبقى ربما إلى أن يشاء الله أمرا،فالقرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى منزّل بلسان عربي مبين ،و هذا اللسان يضم عدّة لهجات أخضعت النّص القرآني لحاجتها.

لذلك كان من الواجب المرور على حديث الأحرف السبعة من خلال المبحث الثاني و الذّي اخترت له العنوان الآتي: **الأحرف السبعة بين الإثبات و النسخ.**

فالقراءات القرآنية لم تكن لتوجد من دون إذن الشارع في ذلك ،و سنورد في المتن عدّة روايات لهذا الحديث و المشترك بينها هو إذن النبي صلى الله عليه و سلم لأمته بأن يقرأ القرآن على سبعة أحرف ،و لكن المشكل فيها هو المقصود بهذه الأحرف ،و قد لاحظت اختلافاً شاسعاً بين العلماء اللذّين حاولوا تنوير النّاس بتأويل قد يحتمل الصواب و الخطأ و قد ذكر السيوطي أهم هذه التأويلات في كتابه **الإتقان في علوم القرآن**،كما حاولت من خلال هذا المبحث إبراز العمل الجليل الذّي وفق إليه عثمان بن عفان في جمع القرآن و

القراءات، و الخوض في معنى الأحرف السبعة و إثباتها أو نسخها يحيلنا إلى قضية أخرى عالجتها في المبحث الثالث الذّي كان بعنوان : **القراءات القرآنية بين التوقيفية و التوفيقية**،فقد لاحظت اختلافاً بين القراءات و بين الأحرف ،فالأحرف توقيفية حدّها النبّي صلى الله عليه وسلم بقوله :"**لكلّ حرف حدّ**"،و لكن القراءات القرآنية تخضع لمنهج الاختيار على مستوى هذه الأحرف ،فهل أجاز نبيّنا هذا الاختيار لأصحابه؟.

ذلك ما حاولت معالجته من خلال المبحث الرابع الذّي كان عنوانه:**مقاييس قبول القراءة**،فالمنهج (الاختيار) فتح الباب أمام توسع القراءات إلى حدّ ربما لم تحتمله الأحرف السبعة،لذلك عمد علماؤنا إلى وضع مقاييس يجب أن تمرّ عليها القراءة ليتم تصنيفها إما في خانة الصحة أو الشذوذ.

أمّا المبحث الخامس فهو يعالج قضية تعامل النحويين مع القراءات القرآنية من خلال مدرسة البصرة و الكوفة،و كان بعنوان:**القراءات القرآنية في ضوء القواعد الصارمة للنحو**،فالنحوي الذّي بنى قاعدته مستشهداً بما جمعه من الشعر و النثر يعتبر قاعدته مسلّمة لا يمكن التنازل عنها أو تخطئتها لتأتي القراءة القرآنية في بعض الحالات فتتجاوزها لذلك نجد بعض النحويين يردّون القراءات الصحيحة التي تخالف قاعدتهم.

أمّا فيم يتعلق بالفصل الثاني فهو فصل تطبيقي ينطوي تحته خمسة مباحث موزّعة على حسب التغير الذي يطرأ عل الكلمة،ضمت هذه المباحث عشرة نماذج من الآيات القرآنية قمت فيها بمعالجة كلّ نموذج على حدا من خلال المرور على تفسير الآية أولاً ،ثمّ إبراز سبب نزولها و الكلمة التي تعدّدت فيها القراءة،لأبدأ في تحليل كلّ قراءة ثمّ أخلص في الأخير إلى نتيجة، فاخترت لهذا الفصل العنوان التالي: **الإنتاج الدلالي على مستوى القراءات** ،حاولت من خلاله إبراز أثر القراءات القرآنية و تعدّدها في الإنتاج الدلالي على المستويين الصوتي و الصرفي،فكان المبحث الأوّل بعنوان:**الوقف و الابتداء**،باعتبار هذا الأخير يقسّم الكلام إلى دفعتين ولكلّ دفعة دلالة تتعلق بها و قد اختلف القراء في هذا

الباب (الوقف و الابتداء) فتعدّدت بذلك الدلالة دون وجود أي اختلاف بين الدلالات الناتجة.

أمّا المبحث الثاني فيتعلق بالمستوى الصرفي للكلمة القرآنية و يخصُّ الحرف،وكان عنوانه: **الإبدال في الحروف**،حيث نجد أنّ القراء العشرة يختلفون في بعض الأحرف كأن تبدل الياء تاءً في قوله (يعلمون-تعلمون)،أو التاء باءً في قوله (تبلو – تتلو)،و غيرها من النماذج التي يبرز من خلالها توليفة من المعاني و الدلالات ،و هناك اختلاف بين القراء في إثبات بعض الأحرف أو حذفها و هذا ما عالجته من خلال المبحث الثالث الذّي كان عنوانه: **الحرف بين الإثبات و الحذف** ،و هذا التعدّد لا نجده في مصحف واحد و إنّما وزّعت أوجه الاختلاف على المصاحف التي أرسلها عثمان بن عفان إلى الأمصار.

كما مسّت القراءات القرآنية الحركات الإعرابية و غير الإعرابية،فنجد هناك تعدّدا على هذا المستوى ،و قد أشار بعض الباحثين إلى أنّ هذه التغيرات سببها اللهجات العربية و رسم المصحف أيضاً،و قد حاولت من خلال المبحثين الرابع و الخامس نقض هذه النظرية التي تبناها بعض المستشرقون و سار معهم في هذا الباحثون العرب، **فالمبحث الرابع:الإبدال في الحركات الإعرابية**، يعالج التغير في الحركات الإعرابية التي يتغير معها دور الكلمة في سياق الآية ما يؤدي بالضرورة إلى تغير في الدلالة و قد تحتمل الكلمة أكثر من وجهين تبنى كلّ وجه قارئ من القراء،و يعالج **المبحث الخامس: الإبدال في الحركات غير الإعرابية** و الذّي يتغير معه معنى الكلمة في السياق،و لكن الملاحظ هو تناسب كلّ الأوجه مع السياق فلم أكد ألمس أدنى اختلاف بل هناك تكامل واضح.

و في الأخير تأتي الخاتمة التي ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال عرض هذين الفصلين،بالإضافة إلى تذيلها بتوصيات و اقتراحات كانت على شكل إشكاليات بقيت مطروحة في هذه الدراسة،و هذه الاقتراحات تبرز صعوبة البحث في هذا الموضوع الذّي يعدّ

من أخطر المواضيع التي ربما يعالجها أي باحث لأنّه يتعلق بقدسية القرآن الكريم التي لا يجب أن يمسّها أحد كما أنّه موضوع يحمل في طياته عدّة إشكاليات ،فكلما حاولت تناول قضية و إبداء الرأي فيها إلاّ و ظهرت قضية أخرى خاصة فيما يتعلق بالأحرف السبعة و إثباتها أو نسخها ،كما أنّ معظم المصادر التي استفدت منها في هذا البحث تبقي مثل هذه القضايا مفتوحة ،و هذا ما يبقي الباحث تائهاً بين أقوال العلماء ،و مع ضيق الوقت اضطررت إلى التنازل عن فصل كامل أردت من خلاله دراسة القراءات القرآنية من جانبها الصوتي لأرى إن كان للهجات العربية أثر في تغير الدلالة،و الصعوبة الأخرى هي قلّة الدراسات التي جمعت بين علم القراءات و علم الدلالة فمعظم المؤلفات كانت في مجملها تركّز على التغاير دون الإشارة إلى المغزى من هذا التعدّد ،و إن كانت فإنّها إشارة اختلاف بين القراءات لا إشارة تعدّد و تكامل ،فنجدها في أغلبها تستعمل المصطلح المتداول منذ القديم (**الاختلاف**) دون النظر إلى أبعاده الدلالية خاصة إذا تعلق الأمر بالقرآن الكريم و هذا الأمر هو ما دفعني لأركب سفينة القراءات التي حاول بعض المستشرقين إغراقها في بحر جهلهم في ظلّ صمت اللّسان العربي.

لقد قادني هذا الموضوع إلى تقليب كتب التفسير و أهمها تفسير **التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور** الذّي كان من بين المفسّرين الأوائل اللذّين خصّصوا جزءً من تفسيرهم للقراءات فنجده يحتجّ بها و يشير في كثير من الأحيان إلى أثر التنوّع و التعدّد في القراءة، بالإضافة إلى تفاسير أخرى كتفسير **جامع البيان للطبري** ،و **الكشّاف للزّمخشري**، و **البحر المحيط لأبي حيان** و من التفسير إلى كتب اللغة التي أدلت بدلوها في هذا المجال ،فكان منها **الكتاب لسيبويه**، و **المقتضب للمبرّد** ،و **الخصائص لابن جنّي**،مروراً بكتب معاني القرآن و إعرابه وكان منها:**معاني القرآن للفراء**،**معاني القرآن للزجّاج**، و **معاني القرآن للنّحاس**،ومن كتب القراءات اخترت المصادر التالية:**النشر في القراءات العشر لابن الجزري**،يليه **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للبنّا الدمياطي**،و **الحجّة**

**في القراءات السبع لأبي علي الفارسي،و السبعة في القراءات لابن مجاهد.**

كما أخذت الكتب الحديثة -و هي من الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع - حظّها في هذا البحث و أهمها : **كتاب التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية لصاحبه أحمد سعد محمد**،و **الإعجاز القرآني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة لأحمد بن محمد الخرّاط** ،و **القراءات في نظر المستشرقين و الملحدين لعبد الفتاح عبد الغني القاضي**،و **إعجاز القرآن و البلاغة النبوّية لمصطفى صادق الرافعي** و **إعجاز القراءات القرآنية لصبري الأشوح**.

هذا ما منّ الله به علينا في هذا الموضوع فما كان من صواب فمن الله و ما كان من خطأ فمن نفسي و من الشيطان أعاذني الله و إياكم منه.

# الفصل الأوّل

## المسار التاريخي للقراءات القرآنية.

**توطئة:**

إنّ البحث في الإعجاز القرآني يتجدّد بتجدُّد الفكر الإسلامي المواكب لتطور المجتمعات،ففي كل عصر و منذ أربعة عشر قرناً و القرآن يتجلى حياً في المصاحف كأنّه حديث النزول غضٌّ طريّ ،كلّما أراد أعداء الإسلام- ممن تحرّكت شَقاشقُهم - النيل منه بدا لهم منه ما أخرص ألسنتهم و أعيّ عقولهم فنالتهم الحُبسة ،و لبستهم اللُّكنة ،فكانوا كالروايا تحمل الماء و تشكو العطش.ولو تتبعنا المسار التاريخي للقرآن الكريم سنجد أنّه في كل عصر من العصور التي مرّت بها الأمة الإسلامية قد امتنّ الله فيها على أهل القرآن بمفتاح من المفاتيح التي فتحت أقفال القلوب ،و ساهمت في تقريب المعنى ،و تجديد حيويّة النّص القرآني حتى بدا لنا كأنّ الذّين سبقونا لم يفسّروه ولم يحيطوا بكلّ المعاني المكتّنزة في أسلوبه المميّز ،لهذا نجد أنّ التفاسير تعدّدت ،و كل تفسير حمل معه طابعاً ميّز حقبة زمنيّة معيّنة ،و العجيب في الأمر كلّه هو تلك الانسيابية التي تتحرك بها الكلمات القرآنية في ظّل هذا التعدّد ليس في الفهم فقط ، بل حتّى في القراءة،و مع هذا لا نجد فيه أدنى تناقض.

و القراءات القرآنية من الأساليب التي تميّز بها النّص القرآني ،وقد انفرد بهذه الخاصية دون سائر النصوص البشرية التي لو دخل فيها أدنى تغيير لتبدّل المعنى و اختلّ التركيب فحدث بذلك الاختلاف و التناقض ،بل و ينزل هذا النّص من أعلى مراتب البلاغة و الفصاحة إلى منازل السوقية و السخافة، فيصير باهتاً خافتاً قد فقَد كل مميّزات الجمال و التأثير في النفس على عكس النّص القرآني الذّي نجد في بعض كلماته أوجهاً متعدّدة للقراءة، و كل وجه يتناسب مع الوجه الآخر،و على منهاج واحد في النّظم و مرتبة واحدة في غاية الفصاحة و البلاغة ،و التكامل في التصوير،و هذا الأمر لا يلمسه القارئ أو الباحث في القراءات القرآنية إلاّ إذا تعمق في البنيّة الدلالية، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور (ت 1393ﻫ) في مقدمة تفسيره:"إنّ القراءات العشر الصحيحة

المتواترة ،قد تتفاوت بما يشتمل عليه بعضها من خصوصيات البلاغة أو كثرة المعاني أو الشهرة."(1)

و كثيرة هي صفات القرآن جمعها النّبي صلى الله عليه و سلم في قوله:"فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ،و خَبَرُ مَا بَعْدَكُم،وحُكْمُ مَا بَيْنَكُم.هُو الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَارٍ قَسَمَهُ اللهُ تَعَالَى،وَ مَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ تَعَالَى ،وَ هُو حَبْلُ اللهِ المتِينُ،و هُو الذِّكْرُ الحَكِيمُ ،و هُوَ الصِّرَاطُ المسْتَقِيمُ ،و هُوَ الَذِّي لَا تَزِيْغُ بِهِ الأَهْوَاءُ،وَ لاَ تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ ،وَ لاَ يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ ،وَ لَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرِهِ الرَّد، و لاَ تَنْقَضِيْ عَجَائِبُهُ."(2)

ومن عجائبه القراءات القرآنية التي أخذت حيزاً كبيراً من البحث ،والذّي كان في مجمله يصبُّ في وضع أسس لعلم يضبطها،ومنذ القرن الثالث الهجري و علماء الأمة الإسلامية يَرُدُون على هذا النّهر،فاختلفت توجُّهاتهم و توجيهاتهم لهذه القراءات كلٌّ حسب ما تيسّر له من زاد معرفي،و لا زال هذا العلم الجليل يراوح سطور ما كتبه علماؤنا في القديم –رغم بعض المآخذ التي تؤخذ عليهم– إلاّ أنّ علماء هذا العصر انصرفوا عن البحث فيه،و التقعيد له و ضبطه خوفاً أو تحرجاً من الخوض في قضايا مثيرة للجدل ،وجد فيها جيل جديد من الذّين قال فيهم الحقُّ سبحانه و تعالى﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴾(3).

وجد هؤلاء ساحة لنفث سمومهم محاولين ضرب القرآن الذّي يعتبر التشريع الإلهي المقدّس لهذه الأمّة. و كثيرة هي مقالاتهم، و كلّها كذّب، و تدليس، و افتراء لا أساس له من الصّحة إمّا لكونه مبنياً على نزعات طائفية أو لكونه صادراً من جهات تكنُّ العداء للإسلام، و قد حاولوا الهجوم على القرآن من باب اختلاف القراءات.

– فما معنى الاختلاف؟

---

– (1) تفسير التحرير و التنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر،ج1،ص 51.

– (2) أخرجه الترمذي ورواه الحسين بن علي عن حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن الحارث.

– (3) آية (04)،سورة الفرقان.

# المبحث الأوّل

# القراءات بين المثال و الواقع.

**توطئة:**

إنّ المتتبع لمسار البحث و التوجيه في القراءات القرآنية يجد أنّ أغلب هذه الدراسات كانت تدور حول مصطلح "**الاختلاف**" ،أي "**اختلاف القراءات**"،بل و كان البعض يثير الاختلاف بين القرّاء من خلال ترجيح قراءة على أخرى حتى يكاد يسقطها رغم أنّها منقولة بالتواتر عن النّبي صلى الله عليه وسلم ،كما روى ابن مجاهد (ت 324ﻫ) عن الحسن بن علي بن مالك(ت179ﻫ) قال حدثنا أحمد بن صالح المصري[1] قال سمعت ابن وهب[2] (ت 197ﻫ) يقول: "**قراءة نافع سنة.**" (3)، وهذا القول قد يمهّد لمعنى آخر، و هو أنّ باقي القراءات ليست من السنّة.

و من الفرق الإسلامية من حاول إخضاع القراءات وفق ما يناسب تصوراتهم و اعتقاداتهم، فقد ورد في قراءة:﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (4)

أنّ المعتزلة قرأت "الله" بالنصب و قرأت الأمّة بالرفع، و هذا حتّى لا يثبتوا الكلام لله سبحانه و تعالى(5)، كما قرأ بعض الرافضة[6] قوله تعالى:﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ (7).

بتثنية "المضِلِين" و فسّروها على أنّهما أبو بكر و عمر رضي الله عنهما ،و اتهموهما زوراً بتحريف القرآن، فهم يقولون أنّ أبا بكر و عمر و عثمان هم الّذين حرّفوا القرآن وحذفوا منه

---

- (1) أحمد بن صالح روى قراءة ورش عن نافع و قالون (ت 248ﻫ).
- (2) ابن وهب وهو محدث وفقيه مصري (ت 197ﻫ).
- (3) السبعة في القراءات لابن مجاهد ،تحقيق شوقي ضيف،دار المعارف مصر 1972م،ص 62.
- (4) الآية (164)،سورة النساء.
- (5) ينظر،تفسير التحرير و التنوير،الطاهر ابن عاشور،ج1،ص 61.
- (6) الرافضة: طائفة ذات أراء اعتقاديه أخطرها،تكفير أكثر الصحابة رضوان الله عليهم،و الطعن في خلافة أبي بكر و عمر رضي الله عنهما،و القول بأنّ الخلافة في علي رضي الله عنه و ذريته من بعده،وقالوا أن القرآن محرّف.
- (7) الآية (51)،سورة الكهف.

فضائحهم(1).

و من النحوّيين أيضاً من أنكر القراءات التي لا توافق أقيّستهم، يقول الدكتور مهدي المخزومي:"فما وافق منها أصولهم و لو بالتأويل قبلوه و ما أباها رفضوا الاحتجاج به و وصفوه بالشذوذ."(2) ،و من الأمثلة على ذلك قول **ابن جنّي**(ت 392ھ) في قراءة أبي عمرو(70ھ-154ھ): "يغفرّ لكم" بإدغام الراء في اللام، فمدفوع عندنا و غير معروف عند أصحابنا، إنّما هي شيء رواه القرّاء و لا قوة له في القياس."(3) رغم أنّ قراءته متواترة عن النّبي صلى الله عليه و سلم.

كما رَدُّوا قراءة حمزة (70ھ- 156ھ) "و الأَرْحَام" بكسر الميم " فقالوا لا يُضمر على مضمرٍ مخفوض إلاّ بإعادة الخافض." (4) و حمزة من القراء السبعة.

و الصواب هو عرض هذه الأقيسة على النّص القرآني باعتباره في أعلى مراتب الفصاحة و البيان وليس العكس،يقول **أبو عمرو الداني** (ت 444ھ):"لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة ،و الأقيّس في العربية بل على الأثبت في الأثر،و الأصحّ في النّقل و الرواية .إذا ثبت عنهم لم يردّها قياس عربية ولا فشو لغة لأنّ القراءة سنّة متّبعة يلزم قَبولها و المصير إليها." (5)

فالقراءة إذا كانت سنة مروّية عن النّبي صلى الله عليه و سلم لا يجوز لأي كان أن يردّها لمخالفة قياس ما.

---

- (1) ينظر،دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة و الباطنية،عبد القادر بن محمد عطا صوفي،ط1 2005م،دار أضواء السلف للنشر و التوزيع، ص21.
- (2) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة و النحو،مهدي المخزومي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي،مصر ،ط2 (1377ھ- 1958م)، ص337.
- (3) الدراسات النحوية و اللغوية عند الزّمخشري،فاضل السامرائي،مطبعة الإرشاد بغداد، (1390ھ-1971م) ،ص 40.
- (4) المرجع نفسه ، ص42.
- (5) النشر في القراءات العشر ،أبو الخير ابن محمد الجزري، مطبعة مصطفى محمد-مصر-،ج1،ص 10-11.

كما لا يجوز المفاضلة بين القراءات الصحيحة المروّية عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول النحاّس (ت 338ھ) فيمن يفاضل بين القراءات:"و السلامة من هذا عند أهل الدّين إذا صحّت القراءتان عن الجماعة ،أن لا يقال إحداهما أجود من الأخرى لأنهما جميعاً عن النّبي صلى الله عليه و سلم،فيأثم من قال ذلك."(1)

فالمفاضلة بين القراءات ترمي لمعنى آخر يتمثل في أنّها ليست وحياً من الله و أنّها نتاج الخط العربي و طبيعته و قد يكون سبب إثارة الاختلاف من خلال عدم تحديد عدد القراءات التي يجب على الأمّة التقيُّد بها و حفظها ،فمنهم من رأى أنّها سبع قراءات و أهمل الباقي،و البعض قال بأنّها عشر قراءات ،و قال البعض أنّها أربع عشرة قراءة،و في ظلّ هذا الاختلاف وجد المستشرقون الباب مفتوحاً على مصراعيه فلبسوا الزّي العربي لتوجيه الطعنات من الداخل ،و كان تأثيرهم واسعاً على ذوي النفوس الضعيفة من الذّين حاك في أنفسهم الشّك ،فراحوا يجادلون في ما ليس لهم به علم محكّمين أهواءهم في قبول القراءة أو ردّها أو إنكارها، يقول **مصطفى صادق الرافعي**(ت 1356ھ):"و كانت وجوه القراءة التي يؤدى بها القرآن مختلفة باختلاف الأحرف التي نزل عليها ،فكان الذي يسمع هذا الاختلاف من أهل الأمصار إذا احتوتهم المجامع ،أو التقوا في مواطن على الجهاد يعجب من ذلك أن تكون هذه الوجوه كلُّها على اختلاف ما بينها في كلام واحد ،فإذا علم أنّ جميع القراءات مسندة إلى الرسول الله صلى الله عليه وسلم و أنّه أجازها لا يمنع ذلك أن يحيك في صدره بعض الشّك ،فلا يلبث أن يُجري ذلك الاختلاف مجرى مثله من سائر الكلام ،فيرى بعضه خيراً من بعضه."(2)

و هذا من باب إثارة الخلاف حول القرآن، وهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه لأنّ الله تعهّد بحفظه دون سائر الكتب السماوية التي مسّها التحريف و التبديل ،و الفصل

---

- (1) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، أحمد سعد محمد، مكتبة الآداب 19 ،القاهرة مصر، ص 28.

-(2) إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي،دار الكتاب العربي بيروت 1990م،ص 36-37.

في هذا هو قول الحقّ سبحانه و تعالى:﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴾ (1)

وتعدّد القراءات لا يعدّ من التبديل في كتاب الله سبحانه لأنّها أمر منه لرسوله صلى الله عليه و سلم،فعن مجاهد أنّ علي رضي الله عنه قرأ :" وطَلْعٍ مَنْضُود"،و قرأ قارئ بين يديه :"وطَلْحٍ مَنْضُود" بإبدال حرف العين بحاء ،فقال و ما شأن الطلح:إنّما هو "و طَلْعٍ"،و قرأ "لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ"،فقالوا ألاّ نحوّلها؟ فقال:"إنّ آي القرآن لا تهاجُ اليوم و لا تحوّل." (2)

و قد وصل الأمر في بعض المواقف إلى التكفير خاصة إذا تعلّق الأمر بالفرق الإسلامية التي كانت تحكمها الطائفية و التشدّد للمذهب، وهذه من بين الأسباب التي دفعت المستشرقين إلى توجيه أقلامهم ضدّ القرآن ،و كان– جولد زيهر[3]– من أبرز اللذّين طعنوا في أصل القراءات حيث قال في أحد مقالاته:" فلا يوجد كتاب تشريع اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقدياً على أنّه نصّ منزّل موحى به يقدُم نصُّه في أقدم العصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطّراب[4]،و عدم الثَّبات كما نجد في نصّ القرآن."(5)

و قد اهتم علماء الإسلام بتفسير أسباب تعدّد القراءات، فقال أبو علي الفارسي:

---

- (1) الآية (27)،سورة الكهف.

- (2) تفسير التحرير و التنوير، الطاهر ابن عاشور، ج1، ص 53.

- (3) Goldziher: جولد تسيهر أو جولد زيهر مستشرق ألماني(1850 م- 1921م) له أكثر من أربعين مجلد تأثر بأستاذه تيودور ندلكه (ت 1930م)،كما تضلع في العربية على شيوخ الأزهر الشريف و لا سيما الشيخ محمد عبده، الترجمة من كتاب المستشرقون،نجيب العقيقي ج1،ص906.

- (4) الاضطّراب من:تضرَّبَ الشيءُ و اضطَّرب:أي تحرَّك و ماجَ، و يقال اضطَّرَبَ الحَبلُ بين القوم إذا اختلفت كلمتُهم. كما ورد في لسان العرب، ابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير، دار المعارف القاهرة، ج1، ص 2565.

- (5) القراءات في نظر المستشرقين و الملحدين، عبد الفتاح عبد الغني القاضي،دار مصر للطباعة،ص 11.

" و رأس الأسباب في اختلاف القراءات هو أنّ القرآن نزل على سبعة أحرف."(1)
كما جاء في حديث النّبي صلى الله عليه و سلم: "إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ"(2).

و اختلف العلماء في شرح هذا الحديث ، فمنهم من رأى أنّ الأحرف السبعة يقصد بها اللهجات العربية المشهورة القريبة من الفصيحة آنذاك ،و منهم من قال بأنّها القراءات السبع المشهورة ،و هذا الرأي بعيد عن الصواب باعتبار أنّ القرّاء السبعة لم يكونوا وُجدوا بعد،و فريق آخر رأى بأنّها أوجه التغير في بناء الكلمة، و كل هذه الأوجه تحدّد القراءة والاختلاف في الفهم لا حرج فيه،ولا يعني الاختلاف في القراءات وجود تناقض في القرآن الكريم.

فقد روي عن عبد الله بن مسعود[3] أنّه قال لأصحابه:"لا تنازعوا في القرآن، فإنّه لا يختلف، و لا يتلاشى، و لا ينفد لكثرة الرّد، و إنّه شريعة الإسلام. و حدوده و فرائضه فيه واحدة، و لو كان شيء من الحرفين ينهى عن شيء يأمر به الآخر كان ذلك "**الاختلاف**"، و لكنه جامع ذلك كلّه...،و لقد رأيتُنا نتنازع فيه عند رسول الله صلى الله عليه و سلم ،فيأمرنا أن نقرأ عليه فيخبرنا أنّ كلُّنا محسن ،و لو أعلم أحدًا أعلم بما أنزل الله على رسوله مني لطلبته حتى أزداد علمه إلى علمي،و لقد قرأت من لسان رسول الله صلى الله عليه و سلم سبعين سورة ،و قد كنت علمت أنه يُعرض عليه القرآن في كلّ رمضان حتّى كان عام قُبض فعُرض عليه مرّتين فكان إذا فرغ أقرأ عليه فيخبرني

---

- (1) الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1971، ط1 2007-1428ْ، ج1، ص9.
- (2) الحديث متفق عليه، صحيح البخاري، ج1، ص184.
- (3)هو عبد الله و أبوه مسعود سمي في عهد النبي صلى الله عليه و سلم صاحب سر رسول الله، و قال عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم:" **من سرّه أن يقرأ القرآن رطباً كما نزل فليقرأ على قراءة ابن أمّ عبد**"مسند الإمام أحمد(359/7).

أنِّي محسن،فمن قرأ على قراءتي فلا يدعنّها رغبةً عنها ،و من قرأ على شيءٍ من هذه الحروف فلا يدعنّها رغبةً عنه،فإنّه من جحد بآية جحد به كُلّه."(1) لقد رأى المستشرقون في تعدّد القراءات اضطراباً في النّص القرآني،ورأى علماؤنا أنّ هذا الاختلاف هو تعدُّد و ليس اختلافاً في ذات القرآن ،لأنّه لا توجد قراءة تنهى عما أمرت به الأخرى،و إنّما هو اختلاف بين النّاس في الأداء،و لم ينتقل هذا الاختلاف إلى ذات القرآن.

و قد فسّر الغزالي(ت505ﻫ) قوله تعالى:"لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا" بقوله:"الاختلاف" لفظ مشترك بين معان ،و ليس المراد نفي اختلاف النّاس فيه،بل نفى الاختلاف عن ذات القرآن،أي يقال:هذا كلام مختلف،أي لا يشبه أولُه آخره في الفصاحة إذ هو مختلف ،أي بعضه يدعو إلى الدين و بعضه يدعو إلى الدنيا ،أو هو مختلف النّظم،فبعضه على وزن الشعر و بعضه منزحف ،و بعضه أسلوب مخصوص في الجزالة ،و بعضه على أسلوب يخالفه،و كلام الله منزّه عن هذه الاختلافات ،فليس يشتمل على الغثّ و السمين ،و هو مسوق لمعنى واحد في دعوة الخلق إلى الله تعالى،و كلام الآدميين يتطرق إليه هذه الاختلافات،إذ كلام الشعراء و المتراسلين إذا قيس عليه وجد فيه اختلاف في منهاج النّظم ثم اختلاف درجات الفصاحة، بل في أصل الفصاحة حتى يشتمل على الغثّ و السّمين، فلا تتساوى رسالتان و لا قصيدتان، بل تشتمل قصيدة على أبيات فصيحة، و أبيات سخيفة...لأن الشعراء و الفصحاء "في كلّ واد يهيمون"،فتارة يمدحون الدنيا ،و تارة يذمُّونها،و لا ينفَّك كلام آدمي عن هذه الاختلافات،لأن منشأها اختلاف الأغراض ،و اختلاف الأحوال ،و الإنسان تختلف أحواله فلا تصادف اللّسان يتكلم في ثلاث و عشرين سنة فيتكلّم على غرض واحد،و منهاج واحد ،و لقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم بشراً تختلف أحواله فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوُجد فيه اختلاف كثير،و أمّا اختلاف النّاس فهو تباين في آرائهم لا في نفس القرآن." (1)

---

- (1) ينظر ،معترك الأقران في إعجاز القرآن،جلال الدين السيوطي ،ضبطه احمد شمس الدين،ج1/ص09.

يلمّح الغزالي إلى أمرين أساسيين:

-أنّه ينفي الاختلاف عن ذات القرآن من جانب الفصاحة ،و البلاغة ،و النّظم ،و أنّ أسلوب القرآن على منهاج واحد من أوله إلى آخره على عكس كلام البشر.

-أنّ اختلاف النّاس حول القرآن –في القراءات- ليس اختلافاً في ذات القرآن لأنّه لا توجد قراءة تبيح ما تحرّمه قراءة أخرى،و لكن هل هناك فرق بين القرآن و القراءات يجعلنا نُبعد الاختلاف عن ذات القرآن؟

## 1- العلاقة بين القرآن و القراءات:

لقد أثارت هذه النقطة الكثير من الجدل بين الباحثين،و منهم من يرى أنّه لم يصل هذا الجدل فيها إلى نهاية حيث يقول الدكتور شعبان محمد إسماعيل:" و أعتقد أنّها لن تحسم حتى قيام الساعة ذلك أنّها في حقيقتها تناقش العلاقة بين "المثال" و "الواقع" بين الوحي الإلهي السماوي الغيبي ،و بين تناقل هذا الوحي بلغة بشرية أرضية واقعية.لقد اتفق الجميع على أنّ القرآن هو "المثال"،إلا أنّ أذهانهم توقفت عن التسليم بطبيعة القراءات هل هي "مثال" أم "واقع"؟(2)

قرّر العلاّمة الشيخ أحمد بن محمد البنـّا(ت 1117هـ/1705م) :"أنّ القرآن و القراءات حقيقتان متغايرتان."(3) ،مستنداً في ذلك على تعريف هذين الوجهين (القرآن و القراءات)،ويبدو أنّه قد نقل هذا النّص عن الإمام الزّركشي (ت 794هـ) من كتابه " **البرهان في علوم القرآن**" الذّي قال فيه :" القرآن و القراءات حقيقتان متغايرتان،فالقرآن هو الوحي المنزّل على النّبي محمد صلى الله عليه و سلم للبيان و

---

- (1) ينظر البرهان في علوم القرآن، بدر الدين بن محمد بن عبد الله الزّركشي،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار الجيل بيروت- لبنان،ج2،ص 46-47.
- (2) إعجاز القراءات القرآنية ،دراسة في تاريخ القراءات و اتجاهات القراء، صبري الأشوح ،مكتبة القاهرة ص16.
- (3) إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمّى منتهى الأماني و المسرّات في علوم القراءات،أحمد بن محمد البنّا،تحقيق شعبان محمد إسماعيل،مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة،ج1،ص68.

الإعجاز،و القراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف و تثقيل و غيرهما"(1).

و لكنه يستدرك بعد ذلك بقوله:" و لست في هذا أنكر تداخل القرآن و القراءات،إذ لابد أن يكون الارتباط بينهما وثيقاً ."(2) ليقرّر قائلاً بأنّ:"القراءات سنّة مروية عن النّبي صلى الله عليه و سلم ،و لا تكون القراءة بغير ما روي عنه"(3)

إذاً فكلاهما مثال أي وحي من الله سبحانه وتعالى ،و لا يجوز الاختلاف حولهما ،كما أنّه لا يمكن الفصل بين القرآن و القراءات فهما كالجسد و الروح أو الكلمة و المعنى، و أمّا اللذّين يحاولون ذلك إنّما يريدون طمس حقيقة باقية بقاء القرآن على الأرض ،و هم بهذا يفتحون المجال أمام من شحذ قلمه للطعن في الدّين.

و لكن الزّركشي لا يفصل في القضية فصلاً مطلقاً و هذا ما يتبيّن من خلال أرائه ،إذ يقول بأنّ القرآن هو الوحي المنزّل على النبّي محمد صلى الله عليه و سلم و لا خلاف في هذا ،إلاّ أنّه لا يقول عن القراءات أنّها وحي من الله بل يعتبرها اختلاف ألفاظ الوحي المذكور ،ثمّ يعود في الأخير ليقول بأنّها سنّة مروية عن النّبي صلى الله عليه و سلم أي أنّها وحي من الله و هذا يبطل رأيه في الفصل بين الوجهين فهما متّحدين لقول الحقّ سبحانه وتعالى:﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ (4)

و قد وافق الدكتور شعبان إسماعيل رأي الزّركشي في العلاقة بين القرآن و القراءات للاعتبارات التالية:

1- أنّ القراءات لا تشمل كلّ كلمات القرآن.

---

- (1) البرهان في علوم القرآن ،بدر الدين بن محمد بن عبد الله الزركشي، ،ج1 ،ص 318.
- (2) المصدر نفسه،ج1/ص320.
- (3) ينظر، البرهان في علوم القرآن ج1 ،ص 322.
- (4) الآية (106)،سورة الإسراء.

2- أنّها تحوي المتواتر،و الآحاد ،و الشاذ ،و النوع الأخير لا يمكن اعتباره قرآناً لأنه يفتقد إلى خاصية التواتر،إلاّ أنّه و بعد عرضه لهذه الأدّلة يعود لينهج منوال سابقه -الزّركشي- و يقول:" فالواقع أنّهما ليسا متغايرين تغايراً تاماً." (1)

والحقيقة كذلك فلا يمكن الفصل بين القراءات المتواترة و القرآن لأنّ كليهما وحي من الله، وقد وردت أحاديث كثيرة تثبت ذلك حيث أجاز النّبي صلى الله عليه و سلم لأمّته القراءة بما تيّسر لها، و كلّ ما صدر عن النّبي فهو وحي من الله.

لقوله تعالى:﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾(2)

وقوله تعالى:﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ (3) ،و القراءات هي من أساليب القرآن في التيسير على هذه الأمّة.

و يقول الحقُّ سبحانه:﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾(4)

وكلمة "قَرَأۡنَٰه" تدّل على أنّ القراءة من الله لا اختيار من النّبي صلى الله عليه و سلم ،و عليه فإنّ القراءات القرآنية المنقولة بالتواتر عن النّبي صلى الله عليه و سلم لا يجب على النّاس أن يختلفوا فيها، أو أن يخضعوها لأهوائهم، أو خدمةً لتوجُّهاتهم، لأنّها إقرار منه، وكل ما أقرّه النبيّ صلى الله عليه وسلم يجب التسليم به مصداقاً لقوله تعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (5)

و كلّ قراءة فقدت صفة التواتر فهي في خانة الضعف أو الإنكار.

---

- (1) إعجاز القراءات القرآنية ،دراسة في تاريخ القراءات و اتجاهات القراء، صبري الأشوح ،ص 15.
- (2) الآيات (2-3)،سورة النجم.
- (3) الآية (17)،سورة القمر.
- (4) الآيات(18-19-20)،سورة القيامة.
- (5) الآية (7)،سورة الحشر.

و عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ حذيفة بن اليمان قدم إلى عثمان بن عفان(ت25ھ) رضي الله عنه،وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية و أذربيجان مع أهل العراق،فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان:يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود و النّصارى ،فأرسل عثمان إلى حفصة،أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها ثمّ نردّها إليك ،فدعا عثمان زيد بن ثابت ،و عبد الله بن الزبير ،وسعيد بن العاص ،وعبد الرحمان بن الحارث بن هشام ،فنسخوها في المصاحف ،و قال:إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن ،فاكتبوه بلسان قريش فإنّما نزل بلسانهم ففعلوا ذلك." (1)

إنّ الأمر الذّي أفزع حذيفة بن اليمان(ت32ھ) هو خوفه من أن يختلف النّاس في ذات القرآن،و ليس في قراءته ،فيكونوا كالذّين قال فيهم الحقُّ سبحانه و تعالى:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ (2)

وهذا دليل على أنّ القراءات القرآنية في فترة الفتوحات الإسلامية قد تعدّت حدود ما أقرّه النّبي محمد صلى الله عليه و سلم بحديث الأحرف السبعة إلى أن وفّق الله سبحانه و تعالى الخليفة عثمان بن عفان إلى جمع القرآن في مصحف واحد،ونسخه،و إرساله إلى الأمصار.

و قد رأى المستشرقون في هذا الأمر ما لا يحتمله الرأي أيضاً، و أخضعوه لتأويل مغلوط،حيث ظنّ البعض منهم أنّ عثمان بن عفان رضي الله عنه أراد من وراء هذا العمل توحيد النّص القرآني ،وفي هذا قال جولد زيهر:" و في جميع الشوط القديم للتاريخ الإسلامي لم يحرز الميل إلى التوحيد العقدي للنّص القرآني إلاّ انتصارات طفيفة."(3)

---

- (1) صحيح البخاري،للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 252ھ)،ص 992.
- (2) الآية (45)،سورة فصّلت.
- (3) المذاهب الإسلامية ،جولد زيهر،ترجمة علي حسن عبد القادر،ط1 (1944م)،مطبعة العلوم بشارع الخليج،ص5.

ما يفهم من قوله أنّ المصحف العثماني إنّما كان الغرض منه توحيد قراءة النّاس للنّص القرآني،مستنداً على بعض ما قاله علماؤنا ،ففي نصّ **لابن كثير** من كتابه **فضائل القرآن** قال:"و قد أراد عثمان بن عفان رضي الله عنه جمع النّاس على قراءة واحدة لئلا يختلفوا في القرآن."(1)

و هذا ما اعتمده **جولد زيهر** لبناء نظريته ،و هو ما لا يتقبله العقل إلاّ بالدليل، و هناك من الأدّلة ما يبطل ذلك .

يقول الشيخ **عبد الفتاح عبد الغني القاضي**:"إذْ لم يثبت أنّ أحداً ما من المسلمين جال بخاطره، أو حدَّثته نفسه بتوحيد نصوص القرآن الكريم(على قراءة واحدة)، و لو وقع لنُقل إلينا لتوفر الدواعي على نقله...و إنّما الحامل عليه الرغبة في جمع المسلمين على القراءات الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم بطريق التواتر."(2)

**فجولد زيهر** لم يقتنع بتعدّد القراءات القرآنية ،و رأى في ما قام به عثمان بن عفان عملاً فردياً حاول من خلاله تقيّيد القراءة ،و نسخ حديث الأحرف السبعة خوفاً من انتقال الاختلاف لذات القرآن ،و الصحيح هو أنّ جمع القرآن في المصحف العثماني و ضع حدًا للقراءات التي لم تنقل عن النّبي محمد صلى الله عليه و سلم في تلك الفترة فقط قبل أن تمتزج الفلسفة بالفكر الإسلامي ،و تظهر مجدداً قراءات لا يحتملها رسم الخط العثماني أو لم تتوفر فيها صفة التواتر أو أنّها مخالفة لمعتقدات الأمّة.

يقول **خير الدين سيّب**:" انحصرت وجوه القراءات بما تواتر موافقاً للمصحف العثماني،إلاّ أنّ ناشئة نشأت لم ترجع في قراءتها إلى المقرئين الأئمة ،و إنّما اكتفت بما ينطبق على الرسم ،فصار أهل البدع و الأهواء يقرؤون بما لا يحلّ تلاوته وفقاً لبدعهم."(1)

---

- (1) القراءات في نظر المستشرقين و الملحدين، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، ص19.
- (2) القرآن و القراءات و الأحرف السبعة،عبد الغفور محمود جعفر ، دار السلام،ج1،ط1،2007م،ص71.
- (1) القراءات القرآنية نشأتها ،أقسامها،حجّيتها،خير الدين سيب،دار الخلدونية ،الجزائر العاصمة،ص 62.

و لكن لماذا فهم البعض تعدّد القراءات على أنّه اختلاف أو اضطِّراب في النّص القرآني؟

## 2- الفرق بين الاختلاف و التعدّد:

- الاختلاف في نظر "**ابن مسعود**": لو كان شيء من الحرفين ينهى عن شيء يأمر به الآخر.

- الاختلاف في نظر "**حذيفة بن اليمان**":هو قراءة النّاس القرآن بوجه كاد ينقل الاختلاف إلى ذات القرآن كاختلاف اليهود و النصارى.

- الاختلاف في نظر "**الغزالي**": لفظ مشترك بين معانٍ،ويقال هذا كلام مختلف أي لا يشبه أوله آخره ،فبعضه يدعو على الدّين و بعضه يدعو إلى الدنيا ،أو هو اختلاف في النّظم.

- الاختلاف عند "**جولد زيهر**": هو اضطّراب و عدم ثبات النّص القرآني،و بنى هذا المفهوم على اختلاف القراءات.

أمّا **الاختلاف** في اللغة:فهو ضدّ الاتّفاق.(1)

و إذا قلنا اختلاف القراءات فهذا يدعو بالضرورة إلى تصوّر أنّه لا علاقة بين القراءات المتواترة،و لا اتفاق بينها ،و أنّ لكل منها استقلالية عن الأخرى و هذا ما ظنّه البعض ممن فاضل بين القراءات ،ولم يحط بالمعاني الجليلة التي تبرز من الجمع بينها ،فقد يَحمل التعدّد في الأداء معنى واحد ،فيتساءل المرء ما الغاية من هذا؟،و غايته مراعاة الحالة النفسية والقدرة التعبيرية للقارئ،و قد نجد في قراءة توضيح لقراءة أخرى،أو أنّ في قراءة حكم متمّم لحكم في قراءة أخرى. إذاً فهناك تكامل بين القراءات المتواترة، و هذا التكامل لا يجب التعبير عنه بمصطلح "**الاختلاف**".

أما "**التعدّد**" فهو يعبّر عن التساوي في مراتب القراءات المتواترة عن النّبي صلى الله عليه و سلم في الفصاحة ،و البلاغة ،و البيان،و القَبول عند النّاس، كما يعبّر على التكامل بينها في التصوير و إيصال المعنى المراد من الحقّ سبحانه وتعالى دون استقلالية، يقول السيوطي:" إنّ تعدّد القراءات بمنزلة تعدّد الآيات."(2)

---

- (1) موسوعة كشاف الاصطلاحات و العلوم،محمد علي التهنوي،تحقيق علي دحروج،مكتبة لبنان،ج1، ص 117.

- (2) الإتقان في علوم القرآن،جلال الدين السيوطي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،ج1،ص 84.

فالقراءات القرآنية **كالموشور الضوئي** الذّي يحلّل أطياف الكلمة القرآنية باسطاً معانيها.

و هذا اللّغط الذّي أثاره أعداء القرآن حول القراءات في الداخل و الخارج إنّما سببه جهل من قلّت معرفته بتاريخ القرآن و القراءات و أصلها من جهة،و سوء توجيهها و ضبطها من جهة أخرى،حتى ظنّ البعض أن أصل القراءات إنّما سببه احتمال الخطّ العثماني لأوجه عديدة من القراءة حيث قال جولد زيهر:" و ترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخطّ العربي الذّي يقدّم هيكله المرسوم **مقادير صوتية** مختلفة،تبعاً لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته،وعدد تلك النقاط ،بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية،يدعو **اختلاف الحركات** الذّي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدّده،إلى اختلاف **مواقع الإعراب للكلمة** ،و بهذا إلى اختلاف **دلالتها**،و إذن فاختلاف هيكل الرسم بالنقط ،و اختلاف الحركات في المحصول الموحد للقالب من الحروف الصامتة،كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نصٍّ لم يكن منقوطاً أصلاً."(1)

و قال المستشرق برتزل:"إنّ الرسم القديم هو الذّي أدى إلى اختلاف طائفة من القرّاء،لأنّ الكلمة المكتوبة بالرسم القديم ربما احتملت قراءتين أو أكثر." (2)

و من الباحثين العرب من نهج هذا المنهج، فكان يعزو تعدّد القراءات إلى طبيعة الخطّ العربي القديم و هذا الأمر يحمل في طياته أبعاداً لا تخدم علم القراءات كما أنّها تثير الشبهات حول قدسية النّص القرآني ،و منهم من رأى أنّ القراءات القرآنية إنّما هي نتاج اختلاف اللهجات، و ليست وحياً من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم.

يقول **طه حسين**:" والحقُّ أن ليست هذه القراءات السبع من الوحي في قليل و لا كثير،و إنّما هي قراءات مصدرها اللهجات."(3)

و قول **طه حسين** يطرح أمامه عدّة إشكاليات حول حقيقة القراءات القرآنية و إذا كان الأمر كما يقول، فهذا يعني أنّه لا أصل للقراءات القرآنية ، مما يدعو إلى النظر في المسار التاريخي لها انطلاقاً من حديث رسول الله الموسوم **"بالأحرف السبعة"**.

---

- (1) مذاهب التفسير الإسلامي،أجنس جولد زيهر، ص 7.
- (2) أصل القراءات القرآنية بين حقائق التاريخ و دعاوى المبطلين،غانم قدوري الحمد،ص7.
- (3) في الأدب الجاهلي،طه حسين، مطبعة فاروق،ط3 ،1933م، ص 103.

# المبحث الثّاني

# الأحرف السبعة بين الإثبات و النسخ.

ارتبط تاريخ القراءات القرآنية بتاريخ القرآن، فهما حقيقتان متلازمتان سارتا معاً في كل مرحلة من المراحل التي شهدت قيام دولة الإسلام، و تبليغ الرسالة الربّانية بتبليغ القرآن الكريم،و الذّي كان في أول الأمر محفوظاً في الصدور و ما كُتب على العُسب، و الكرانيف، و اللِّخاف، و الرِّقاع، و قطع الأديم، و عظام الأكتاف و الأضلاع، وكلّ ما تيسّر و صلح الكتابة عليه.

و قد روي عن **زيد بن ثابت**(ت45ﻫ) رضي الله عنه أنّه قال:"أرسلَ إلي **أبو بكر**(ت13ﻫ) يوم مقتل أهل اليمامة،فإذا **عمر بن الخطاب**(ت23ﻫ) عنده ،قال **أبو بكر** إنّ **عمر بن الخطاب** أتاني فقال:إنّ القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن ،و إنّي أخشى أن يستحرّ القتل بالقرّاء بالمواطن،فيذهب كثير من القرآن،و إنّي أرى أن تأمر بجمع القرآن ،قلت لعمر كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ قال عمر:هذا و الله خير ،فلم يزل عمر يراجعني حتّى شرح الله صدري لذلك،و رأيت في ذلك الذّي رأى عمر.

قال **أبو بكر**: إنّك رجل شاب عاقل لا نتَّهمك، و قد كنت تكتُب الوحي لرسول الله صلى الله عليه و سلم، فتتبّع القرآن فاجمعه.فو الله لو كلّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن.قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و سلم ؟، قال هو و الله خير فلم يزل **أبو بكر** يراجعني حتى شرح الله صدري للذّي شرح له صدر أبي بكر و عمر ،فتتبّعت القرآن أجمعه من العسُب،و اللِّخاف ،و صدور الرِّجال حتَّى وجدت آخر سورة التوبة مع **أبي خُزيمة الأنصاري** لم أجدها مع أحدٍ غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾الآية 128 التوبة، حتى خاتمة براءة، فكانت الصُّحف عند **أبي بكر** حتى توفّاه الله، ثمّ عند **عمر** حياتَهُ، ثمّ عند **حفصة** بنت **عمر**."(1)

إنّ الأمر الذّي كلّف به أبو بكر زيداً بن ثابت ليس كتابة القرآن، فقد كان مكتوباً

---

- (1) صحيح البخاري، باب جمع القرآن، ج1، ص 183.

في عهد النّبي صلى الله عليه و سلم، و ما يبرّر ذلك قوله:« لاَ تُسَافِرُوا بِالقُرْآنِ، فَإِنِّي لاَ آمَنُ أَنْ يَنَالَهُ العَدُّو»(1) متّفق عليه.

و إنّما أمره بالجمع فقط ،و هي نفس الصُّحف التي طلبها عثمان بن عفان رضي الله عنه من حفصة بنت عمر بن الخطاب لينسخها في المصاحف بنفس الخطّ العربي المعروف آنذاك،و الفرق واضح بين ما قام به أبو بكر و ما فعله عثمان ،فالأول جمع القرآن خوفاً من ضياعه ،و الثاني نسخه في المصاحف خوفاً من اختلاف النّاس فيه بقراءات لم تتواتر عن النّبي صلى الله عليه و سلم.

يقول **أبو عبد الله المحاسبي** (165هـ-243هـ) في كتابه "**فهم السنن**":كتابة القرآن ليست محدثة،فإنّه صلى الله عليه و سلم كان يأمر بكتابته ،و لكنه كان مفرقاً في الرّقاع،والأكتاف،و العُسب،و إنّما أمر الصدّيق بنسخها من مكان إلى مكان،و كان ذلك بمنزلة أوراق وُجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم،فيها القرآن منتشر،فجمعها جامع ،و ربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء." (2)

وكذلك نهج عثمان بن عفان سبيل أبي بكر، فهو لم يستحدث مصحفاً من عنده و لا برأيه، و إنّما نقل ما كان في الصُّحف التي جمعها زيد بن ثابت و نسخها في المصاحف و لكن اختلفت الدوافع و الأساليب. يقول **أبو بكر الباقلاني** (ت304هـ): " لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين ،و إنّما كان قصده جمعهم على القراءات الثابتة عن النّبي صلى الله عليه و سلم،و إلغاء ما ليس كذلك ،و أخذهم بمصحف لا تقديم فيه و لا تأخير و لا تأويل أُثبت مع تنزيل،و لا منسوخ تلاوته كُتب مع مُثبت رسمه و مفروض قراءته و حفظُه،خشيّة دخول الفساد و الشُّبهة على من يأتي بعد."(3)

إنّ قول الباقلاني يضعنا أمام المبادئ الأساسية التي اعتمدها المصحف العثماني وهي:

1- أنّ المرجع الرئيسي الذّي اعتمده عثمان بن عفان في كتابة المصاحف هو الصحائف التي جمعها زيد بن ثابت بأمر من أبي بكر بعد إشارة عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين يقول الدكتور **شعبان إسماعيل**: "ومن الثابت أيضاً أنّ المصاحف التي نسخها عثمان بن عفان رضي

---

- (1) رواه البخاري و مسلم و النسائي و ابن ماجة ،(صحيح مسلم، ج6، ص30).
- (2) الإتقان في علوم القرآن،جلال الدين السيوطي، ج1،ص58.
- (3) المصدر نفسه،ص134.

الله عنه كانت موافقة للصحف التي نسخها أبو بكر و معلوم أنّها لم تكن على حرف واحد."(1)،أي أنّها احتوت الأحرف التي نصّ عليها حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و يقول **الزرقاني** (1367هـ): "المصاحف التي نسخها عثمان بن عفان رضي الله عنه من الصحف كان مجموعها مشتملاً على الأحرف السبعة ،و من المتفق أنّ هذه الصحف كتب فيها القرآن بحروفه السبعة التي نزل عليها."(2)

2- أنّ الذّي أشرف على كتابة هذه المصاحف شخص خبير وهو زيد بن ثابت رضي الله عنه،و هو نفسه الذيّ جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه.

3- أنّ المصحف العثماني لم يكن محاولة لتوحيد النّص القرآني كما زعم بعض الباحثين، و إنّما كان جامعاً للنّاس على القراءات المتواترة.

4- أنّ المصاحف العثمانية احتملت كلّ القراءات التي تواترت عن النّبي صلى الله عليه و سلم بعد العرضة الأخيرة كتابةً و بالتالي احتمالها للأحرف السبعة.

ولكنّ بعض العلماء يرون عكس ذلك تماماً إذ قالوا أنّ المصاحف العثمانية نسخت حديث الأحرف السبعة و بالتالي فهي تشتمل على حرف واحد.

يقول **أبو محمد المالكي المعروف بالمالقي**(ت 705هـ):" إنّ القراءات الَّتي يجب على المسلمين وجوباً المحافظة عليها ،ليست هي الأحرف و المرادفات التي كانت تقام بعضُها مكان بعض قبل العرضَة الأخيرة للقرآن ،و التي كانت إقامتها لضرورة ماسة انتهى وقتها عند هذه العَرضة،و إنَّما هي القراءات التي يحتملها مصحف عثمان،المقتصر على حرف قريش ،و هي ثابتة عن النَّبي صلى الله عليه و سلم." (3)

ويقول **ابن التّين**:"جمع عثمان للقرآن كان ناسخاً له على حرف واحد من الحروف السبعة،حتى جمع المسلمين على مصحف واحد،و حرف واحد،يقرؤون به دون ما عداه من الأحرف الستّة الأخرى." (4)

---

- (1) رسم المصحف و ضبطه بين التوقيف و الاصطلاحات الحديثة،شعبان إسماعيل،دار السلام، ص 22.
- (2) مناهل العرفان في علوم القرآن،عبد العظيم الزرقاني،تحقيق فؤاد أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي،ط1(1415هـ-1995م)،القاهرة ،ج1،ص 149.
- (3) شرح كتاب التيسير للداني في القراءات، أبو محمد المالكي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 2003م، ص 07.
- (4) تاريخ القرآن الكريم،محمد سالم محيسن،دار الأصفهاني للطباعة،جدة السعودية، ص 159.

و هذا التضارب في الأقوال لا يفضي إلى حقيقة قد تفيد الباحث ،فما زالت هذه القضية تراوح سطور البحث و الدراسات في مجال القراءات القرآنية دون فصل فيها أو الخروج بنتيجة صحيحة يتخذها الباحث كنقطة انطلاق لبحثه تخوّله للوصول إلى نتائج تعتبر كمسلمات لا تحتمل النقاش أو الجدل.

## 1- الأحرف السبعة:

تعدّدت روايات حديث "الأحرف السبعة" بتعدّد المواقف و الحالات و الرواة ، فعن **ابن عباس** رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:« أَقْرَأَنِي جِبريلُ عَلَى حَرْف فَلَمْ أزَل أَسْتَزِيدُهُ و يَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُف.» (1)

و في حديث "**أبَيّ**"أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:"إنَّ رَبِي أَرْسَلَ إِلَيَ أَنْ أَقْرَأْ القُرْآنَ عَلَى حَرْف، فَرَدَدْتُ إِلَيْه أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَأَرْسَلَ إِلَيّ:أَنْ اقْرَأَ عَلَى حَرْفَيْن، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَأَرْسَلَ إِلَيّ:أَنْ اقْرَأَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف." (2)

و أخرج الإمام **أحمد و الطبَّراني** من حديث **أبي بَكْرَةَ**:"أَنَّ جِبْرِيل قَالَ:يَا مُحَمَدُ،اقْرَأْ القُرْآنَ عَلَى حَرْف،قَالَ مِيكَائِيل :اسْتَزِدْهُ ...حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُف،قَالَ:كُلٌّ شَافٍ كَافٍ مَا لم تَخْتِم آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ ،أَوْ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ،نَحْوَ قَوْلِكَ تَعَالَ و أَقْبِلْ و هَلُّم و اذْهَبْ وَ عَجِّلْ وَ أَسْرِعْ."(3)

و في حديث آخر رواه البخاري أنّ **المِسْوَر بْن مَخْرَمَةَ** ،و **عَبْد الرَّحْمَن بْن عَبْد القَارِيَّ** سمعا **عمر بن الخطاب** يقول:سَمِعْتُ **هِشَامَ بن حَكِيم بنْ حِزَام** يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرقَان فِي حيَاةِ رَسُولِ الله صلَّى الله عَلَيْه و سَلَمَ ،فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ ،فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيه و سَلَم ،فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ في الصَّلاَة،فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ،فَلَبَّبْتُهَ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ:مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُورَة الَّتي سَمِعْتُكَ تَقْرَأْ ،قَال:أَقْرَأَنِيهَا رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ و سَلَم،فَقُلْتُ:كَذَبْتَ،فَإِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيهِ و سَلَّم قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ،فَانْطَلَقْتُ بِه أَقُودُهُ إِلَى رَسوُلِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ و سَلَمَ ،فَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَة الفُرْقَان عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا،فَقَالَ رَسوُلُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ و سَلَّم:أَرْسِلْهُ،إِقْرَأْ يَا "هشام " ،فقرأ القراءة التي

---

- (1) صحيح البخاري (3219)،صحيح مسلم (1902)، مسند الإمام أحمد (2717).
- (2) رواه مسلم (1904).
- (3) مسند الإمام أحمد 146/34.

الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأْ بها،فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه و سَلَمَ:"كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ"،ثُمَّ قَالَ إِقْرَأْ يَا عُمَر،فقَرَأتُ القِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي،فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ و سَلَّم:«كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ،إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ.» (1)

و عن **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه أنّ الرسول صلى الله عليه و سلم قال:«أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا ظَهْرٌ و بَطْنٌ،و لِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ ،ولِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَع. » (2)

و قد اختلف العلماء في تحديد المقصود من هذه الأحرف اختلافاً لا نكاد نلمس فيه تقارباً يرشدنا إلى المعنى الحقيقي لها ،جمعها **جلال الدين السيوطي**(ت 911هـ) في كتابه الإتقان ،و أهم هذه الأقوال و أقربها إلى الحقيقة:

**أ–** أنّها سبع لغات (لهجات) اختلف العلماء أيضا في تحديدها وذهب إلى هذا الرأي **أبو عبيد ،و ثعلب ،و الأزهري** فقالوا أنّها:قريش ،و هذيل ،و ثقيف ،و كنانة ،و تميم،و هوزان ،و اليمن.

و قال البعض خمس لغات من أكناف هوزان: سعد،و ثقيف ،وكنانة ،وهذيل ،و قريش،و لغتان على جميع ألسنة العرب.

**ب–** أنّها سبعة أوجه للتعدّد جمعها **ابن الجزري** في قوله:" و لا زلت أستشكل هذا الحديث ،و أفكر فيه ،و أمعن النظر من نيف و ثلاثين سنة حتى فتح الله عليّ بما يمكن أن يكون صواباً إن شاء الله ،وذلك أنّي تتبعت القراءات صحيحها ،و شاذها ،و ضعيفها ،ومنكرها ،فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها و ذلك إمّا في الحركات بلا تغيّر في المعنى و الصورة (بنية الكلمة) ،نحو(البخل) بأربعة أوجه،و(يحسب) بوجهين ،أو بتغيّر في المعنى فقط نحو (فتلقى أدم من ربّه كلمات) ، (و ادّكر بعد أُمةٍ و أَمهٍ)،و إمّا في الحروف بتغيّر في المعنى لا الصورة نحو(تبلُوا،تتلُوا) ،أو عكس ذلك نحو (بسطة و بصطة)،أو بتغيرهما نحو:(أشدّ منكم و منهم) ،و إمّا في التقديم و التأخير نحو :(فيقتلون و يقتلون)،أو في الزيادة و النقصان نحو:

---

- (1) أخرجه البخاري (2419).

- (2) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي،دار هجر للطباعة و النشر،ج1،ص22.

(و أوصى،و وصّى) فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها ،و أمّا نحو اختلاف الإظهار و الإدغام،و الروم و الإشمام،و التفخيم و الترقيق...فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ و المعنى." (1)

و ذهب إلى هذا الرأي الإمام **أبو الفضل الرازي** (ت606هـ) قال:"إنّ القرآن لا يخرج اختلافه عن سبعة أوجه الأول اختلاف الأسماء من الإفراد و التثنية و الجمع و التذكير و التأنيث و المبالغة و غيرها،و الثاني اختلاف تصريف الأفعال و ما يسند إليه من نحو الماضي و المضارع و الأمر و الإسناد إلى المذكر و المؤنث و المتكلم و المخاطب و الفاعل و المفعول به،و الثالث وجوه الإعراب ،الرابع الزيادة و النقص،الخامس التقديم و التأخير ،السادس القلب و الإبدال في كلمة بأخرى و في حرف بآخر،السابع اختلاف اللغات من فتح و إمالة و ترقيق و تفخيم و تحقيق و تسهيل و إدغام و إظهار و نحو ذلك." (2)

اتفق الإمامين **الرازي** و **ابن الجزري** حول ماهية الأحرف السبعة و اعتبرا أنّها تلك التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة في جميع مستوياتها الصوتية ،و الصرفية ،و التركيبية سواءٌ صاحب هذا التغير تغيراً في المعنى أو لا ،و قد كان الإمام **الرازي** أكثر تفصيلاً من **ابن الجزري** كما أنّه جعل الأداء الصوتي من الأحرف التي نصّ عليها الحديث ممهداً لثورة في علم الدلالة الصوتية،و يعتبر هذا الفهم و التفسير لحديث الأحرف السبعة من أهم الأقوال و أقربها إلى الحقيقة كونه يجمع في طياته كلّ المتعلقات التي ترتبط بهذا الحديث.

إنّ اختلاف فهم العلماء لحديث الأحرف السبعة و مدى البعد الشاسع الذي خلقه هذا التباين حوله يضعنا أمام عدّة إشكاليات و أهمها صعوبة الفصل في قضية إثبات أو نسخ هذا الحديث في المصاحف العثمانية.

قال **محمد بن سعدان الكوفي** النّحوي المقرئ (ت231هـ):"معنى قول النّبي صلى الله عليه و سلم أنزل القرآن على سبعة أحرف مُشكل لا يُدرى معناه."(3)

---

- (1) ينظر ،النشر في القراءات العشر،ابن الجزري،ج1،ص 26.
- (2) المصدر نفسه،ص 27.
- (3) القرآن و القراءات و الأحرف السبعة،عبد الغفور محمود جعفر ،،ص71.

وقال **السيوطي**:" و المختار عندي أنّه من المتشابه الذّي لا يدرى تأويله."(1)

إنّ هذه الأقوال لا تنطبق على ما كان في عهد النّبي محمد صلى الله عليه و سلم و الخلفاء الراشدين، و معنى الأحرف لم يكن يوماً من المتشابه أو المشكل في ذلك الزمن،و لو كان كذلك لسأل الصحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم عن مقصودها، بدليل أنّه لم يرد في ضوء أحاديث الأحرف السبعة أو غيرها أنّ أحداً منهم سأل رسول صلى الله عليه و سلم عن معناها ،أمّا الأمر المشكل فهو من خلق الأذهان التي تشبّعت بالفلسفة محاولة الابتعاد عن الحقيقة فوقع بهذا الالتباس ،و هذا ليس طعناً فيما وصل إليه العلماء أو تجريحاً لهم ،فاختلافهم رحمة ،و كل من اجتهد في شرح الحديث كان ينظر إليه من زاوية معينة فرضتها الروايات المختلفة و التي لم تمكنه من الإحاطة بالزوايا الأخرى ، التي لو اجتمعت في نظرة ثلاثية الأبعاد لرسمت لنا الصورة الحقيقية للأحرف السبعة .

و لا نريد بهذا الترجيح تفضيل أو تغليب قول على آخر، و لكنّنا إذا ما ربطنا هذا الحديث بحلقته **الزمكانية** و الشخصيات التي ارتبطت به لقادنا ذلك إلى اختيار قول من أقوال العلماء لنجعله نقطة انطلاق للبحث.

فلو نظرنا في الحديث الذّي رواه **الإمام البخاري**، و تدبّرنا الحادثة التي وقعت بين **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه و **هشام بن حكيم**، و نظرنا فيما يلزم النّظر فيه لتجلّت لنا الحقائق التالية:

1- الاختلاف وقع بين صحابيين من قبيلة واحدة (قريش).

2- الاختلاف كان في قراءة سورة الفرقان.

فالحقيقة الأولى تضع الرأي الأوّل في معنى الحديث على أنّه اللهجات العربية في خانة الضعف ،بدليل أنّ **عمر بن الخطاب و هشام بن حكيم** كلاهما من قريش،فكيف يترك أحدهما ما تعوّد عليه لسانه و سهل عليه تلاوته لينتقل إلى لهجة أخرى قد يستصعبها، فالأحرف السبعة كان الغرض منها التهوين و تسهيل القراءة على الأمة بما تعود عليه لسانها، و إذا أقرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم أحدهما بلهجة

---

- (1) القرآن و القراءات و الأحرف السبعة،عبد الغفور محمود جعفر ،ص71.

تخالف لهجته فهذا يبطل الغرض من الأحرف السبعة ،و لو كانت هذه الأحرف كما رآها البعض هي التعبير على المعاني المشتركة بألفاظ مختلفة نحو هلّم و أقبل فما هو مصدر هذه الاختلافات في الإعراب ،و الإبدال،و التقديم ،و التأخير و غيرها من الأوجه المتردّدة بين القراءات؟

أمّا الحقيقة الثانية فتدعو بالضرورة إلى تدبّر سورة **"الفرقان"** و إحصاء جميع التغيّرات التّي اقتضتها القراءات الواردة فيها، و قد تتبّعت هذه القراءات صحيحها ،و ضعيفها ،ومنكرها مستنداً في ذلك على المنهج الذّي اعتمده **ابن الجزري**،فوجدتها لا تخرج عن الأوجه التالية ،و هي إن لم تحوي جميع الأحرف السبعة فستجمع بعضها ،و البعض يقرّب إلى المعنى المراد:

## 1- أوجه التعدّد الواردة في سورة الفرقان:

### أ- المستوى الصوتي:

- إدغام و إظهار.
- فتح و إمالة.
- مدّ وقصر.
- همز و تسهيل.

### ب- المستوى الصرفي:

- إبدال في الحركات نحو:نشراً قرئت:(نُشُراً، نُشْراً، نَشْراً)،(تَشَّقق، تَشَقَّق)
- إبدال في الحروف نحو:(تستطيعون، يستطيعون)، (نشراً، بشراً)
- بين الجمع و الإفراد نحو:( الرياح، الريح).( سُرج، سراجاً).
- الإثبات و الحذف نحو:(نُنْزِل الملائكةَ، نُزِّل الملائكةُ).

ولم تخرج أوجه التعدّد في هذه السورة عن هذه التغيّرات وهذا يحيلنا إلى تغليب الرأي الذي رآه **ابن الجزري و الرازي** ،و إن اختلفا في تصنيفها ،ولو بنينا قطعاً بأنّ هذه الاختلافات هي المعنيّة في حديث الأحرف السبعة فهي أوجه يحتملها الرسم العثماني،و ما لم يحتمله كالزيادة و النقصان ،و التقديم و التأخير فهي منتشرة في المصاحف التي أرسلها عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الأمصار مراعياً في ذلك ما تعوّد عليه لسان

ذلك المصر فمثلاً :"نُـزّلَ و نُنَزِّلُ،فهي في المصحف المكي بنونين و في غيره بواحدة،و كذلك (الريح) بالألف في بعض المصاحف و بغير الألف في البعض الآخر ،و كذلك في سورة الكهف(خيراً منها) في مصاحف أهل البصرة و الكوفة ،و (خيراً منهما) على التثنية في مصاحف مكة و المدينة و الشام ،و في الشعراء (وتوكّل) في مصاحف الكوفة و البصرة ،وكتبت(فتوكّل) في مصاحف المدينة و الشام." (1)

و عليه يجب التسليم بأنّ **عثمان بن عفان** رضي الله عنه لم يحاول من خلال العمل الذّي قام به أن يوحّد النّص القرآني (على قراءة واحدة)، و هذا رداً على من زعم بذلك،كما أنّه لم ينسخ حديث الأحرف السبعة بل اتبع منهجاً مميّزاً يعبّر عن مدى الاهتمام البالغ الذّي أولاه الصحابة رضوان الله عليهم بكتاب الله و سنة نبيّه محمد صلى الله عليه و سلم ،يقول **أبو عمرو الدّاني**:" و أنّ أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه و من بالحضرة من الصحابة قد أثبتوا جميع تلك الأحرف في المصاحف و أخبروا بصحتها."(2)

و يقول أيضاً:" و أنّه لم يسقط شيئاً من القراءات الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ،و لا منع منها،و لا حظر القراءة بها ،إذ ليس إليه ،و لا إلى غيره أن يمنع ما أباحه الله تعالى و أطلقه." (3)

يقول الدكتور **عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي**:" نزول القرآن على سبعة أحرف قد ثبت بنصّ شرعي و لا نسخ بعد وفاة النّبي صلى الله عليه و سلم و لذا فإنّه لا يمكن أن يجتمع الصحابة على ترك شيء مما ثبت عن النّبي صلى الله عليه و سلم." (4)

كما أنّ **الحافظ أبو يعلى الموصلي** روى في مسنده الكبير أنّ **عثمان بن عفان** رضي الله عنه قال يوماً و هو على المنبر:" أذكر الله رجلاً سمع النّبي صلى الله عليه و سلم يقول:«إِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف كُلّها شَافٍ كَافٍ ».

---

- (1) ينظر، كتاب المصاحف،أبو بكر السجستاني (ت316هـ)،تحقيق محب الدين واعظ،دار البشائر الإسلامية،ط1(1415هـ-1995م)،ط2(1423هـ-2002م)، ج1،ص247.
- (2) الأحرف السبعة للقرآن،أبو عمرو الداني،تحقيق عبد المهيمن طحّان،دار المنارة ،ط1 ،ص60.
- (3) المصدر نفسه، ص 63.
- (4) الأحرف القرآنية السبعة،عبد الرحمن المطرودي،دار عالم الكتب ،ط1(1411هـ-1991م)،ص 86.

لما قام،فقاموا حتى لم يحُصوا فشهدوا أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:«إِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف كُلّها شَافٍ كَافٍ» ،فقال عثمان رضي الله عنه"و أنا أشهد معكم." (1)

فكيف بمن يشهد على صحة هذا الحديث ويُشهد النّاس على ذلك أن يقوم بنسخه أو نسخ بعضه مقيمًا على نفسه بالحجة،فعثمان رضي الله عنه وجمع الصحابة اللذّين ولاّهم كتابة المصاحف توخوا إثبات هذه الأحرف و لم يتركوا منها شيئاً كما زعم بعض العلماء و الباحثين،و قد تساءل البعض عن الأحرف التي لا يحتملها الرسم العثماني والتي هي موزعة في المصاحف كيف احتملتها الصحائف التي جمعها **زيد بن ثابت** بأمر من **أبي بكر** رضي الله عنه و هي نسخة واحدة.

يقول الدكتور **عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي**:" إنّي لا أفهم كيف احتوت صحائف **أبي بكر** على الأحرف السبعة و هي مدوّنة واحدة بين دفّتين"(2)

و هذا التساؤل منطقي لأنّ المصاحف العثمانية هي نسخة عن هذه الصحائف كما سبق و أشرنا إلى ذلك، و بعض الأحرف لا يمكن أن يحتملها مصحف واحد كالزيادة و النقصان مثلاً، لذلك لا يجب القول أنّ **عثمان بن عفان** أثبت جميع الأحرف في مصحف واحد.

يقول الدكتور **محمد سالم محيسن**:" وليس معنى ذلك أن كلّ مصحف بمفرده كان مشتملاً على جميع الأحرف السبعة بل المقصود أنّها كانت في مجموعها مشتملة على الأحرف السبعة التي نزلت على النّبي صلى الله عليه و سلم."(3)

و قال العلاّمة **أبو عمرو الداني**:"فإن سأل سائل عن السبب الموجب لاختلاف مرسوم هذه الحروف الزوائد في المصاحف؟ قلت:السبب عندنا أنّ أمير المؤمنين **عثمان بن عفان** رضي الله عنه لما جمع القرآن في المصاحف و نسخها على صورة واحدة و آثر في رسمها لغة قريش دون غيرها،مما لا يصح و لا يثبت،نظراً للأمة ،و احتياطاً لأهل الملّة،وثبت له أنّ هذه الحروف من عند الله كذلك منزّلة ،ومن رسول الله صلى الله عليه

---

- (1) النشر في القراءات العشر،ابن الجزري،ج1،ص21.
- (2) الأحرف القرآنية السبعة،عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي،ص86.
- (3) تاريخ القرآن الكريم،محمد سالم محيسن، ص159.

وسلم كذلك مسموعة ،وعلم أنّ جميعها في مصحف واحد على تلك الحال غير متمكّن إلاّ بإعادة الكلمة مرتين ،و في رسم ذلك كذلك من التخليط و التغيير ما لا خفاء به ففرّقها في المصاحف،لذلك جاءت مثبتةً في بعضها و محذوفة من بعضها."(1)

إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تحوي نسخة واحدة للمصحف جميع أوجه التغيّرات المندرجة تحت الأحرف السبعة على خلاف بعض الأوجه الأخرى التي يمكن إثباتها في مصحف واحد،و هذا خلافاً لما قاله بعض العلماء و الباحثين الذّين رأوا بأنّ الصحائف التي جمعت في عهد **أبي بكر الصديق** ،و التي كانت عند **حفصة بنت عمر بن الخطاب** ،و هي المرجع الذّي اعتمده **عثمان بن عفان** رضي الله عنه في نسخ المصاحف أنّها كانت تحوي جميع الأحرف.

يقول الدكتور **علي بن سليمان العبيد:**" اتسم جمع القرآن في عهد **أبي بكر الصديق** بعدة سمات من أبرزها: اشتماله على الأحرف السبعة التي ثبتت في العرضة الأخيرة."(2)

و لكن يمكن القول بأنّ القرآن كان مكتوباً في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم على الأحرف السبعة ،يقول **الزرقاني:**" و صفوة المقال أنّ القرآن كان مكتوباً كلّه على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم ،و كانت كتابته ملحوظاً فيها أن تشمل الأحرف السبعة التي نزل عليها."(3)

و هذا لأنّ كتاب الوحي في عهد النّبي صلى الله عليه و سلم كانوا كثر ،و ربما كتب كل واحد منهم على ما وافق الحرف الذّي كان يقرأ عليه،أما في عهد **أبي بكر الصديق** رضي الله عنه فهذا غير ممكن و لا متمكّن في نسخة واحدة، إلاّ أنّه يمكن القول بأنّ الصحائف التي جمعها **زيد بن ثابت** رضي الله عنه كتبت على ما ثبت بالعرضة الأخيرة على قراءة النّبي محمد صلى الله عليه وسلم،و بعض الأحرف كانت مثبتة قراءةً لا كتابةً في هذه الصحائف،أمّا في عهد **عثمان بن عفان** رضي الله عنه فهي مثبتة كتابةً و قراءةً

---

- (1) رسم المصحف و ضبطه بين التوقيف و الاصطلاحات الحديثة،شعبان إسماعيل ،ص 29.
- (2) جمع القرآن الكريم حفظاً و كتابة، علي بن سليمان العبيد،ص 49.
- (3) مناهل العرفان في علوم القرآن،عبد العظيم الزرقاني،ج1،ص 248.

ولو تدبّرنا قول الحقّ سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾(1)

لوجدنا فيه تجسيداً لمرحلتين مثلتا تاريخ القرآن و القراءات.

**1- المرحلة الأولى**: تعبّر عنها كلمة "**جَمْعَهُ**" وهي تمثل العمل العظيم الذّي قام به **أبو بكر الصديق** رضي الله عنه حين أمر **زيد بن ثابت** بتتبع القرآن وجمعه في الصحائف.

**2- المرحلة الثانية**:تعبّر عنها كلمة "**قُرْءَانَهُ**" ،التي تشير إلى العمل الجليل الذي قام به عثمان بن عفان رضي الله عنه حين جمع القراءات المتواترة عن النّبي صلى الله عليه وسلم بإثبات الأحرف السبعة وتوزيعها في المصاحف التي أرسلها إلى الأمصار و هي كالآتي:

1 **زيد بن ثابت** رضي الله عنه كان معه المصحف المدني.

2 **عبد الله بن السائب** (ت70هـ) مع المصحف المكّي.

3 **المغيرة بن أبي شهاب المخزومي**(ت91هـ) مع المصحف الشامي.

4 **أبو عبد الرحمن السّلمي** (ت 73هـ) مع المصحف الكوفي.

5 **عامر بن عبد قيس** مع المصحف البصري.

و تعتبر هذه الأمصار التي خصّها **عثمان بن عفان** رضي الله عنه بإرسال المصاحف إليها أقطاباً للدولة الإسلامية آنذاك،و منبع لعلم جديد يسمى علم القراءات ،و كان الصحابة اللذّين حملوا المصاحف العثمانية و ساروا بها إلى هذه الفجاج علماء و متخصّصين في هذا العلم رأى فيهم **عثمان بن عفان** أهلاً لهذه المهمة الجليلة مصداقاً لقول الحقّ سبحانه وتعالى:﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(2)

ومنهم تعلّم أئمة القرّاء واشتهروا بالإقراء ،فكان طلبة العلم يضربون أكباد الإبل إليهم للأخذ عنهم ،وهكذا بدأت حركة انتشار القراءات في كل الأقطار وفق منهج النقل

---

- (1) الآية (17)،سورة القيامة.

- (2) الآية (122)،سورة التوبة.

و التواتر ،وكان من الصحابة المقرئين:

1- **عثمان بن عفان** رضي الله عنه وتتلمذ على يديه الكثير منهم: **المغيرة بن أبي شهاب المخزومي** (ت91ﻫ).

2- **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه تتلمذ على يديه **أبي عبد الرحمن السُّلمي**(73ﻫ)،**أبي الأسود الدؤلي**(ت69ﻫ)،**و عبد الرحمن بن أبي ليلى**(ت83ﻫ).

3- **أبّي بن كعب** رضي الله عنه وهو من كتّاب الوحي و الحفّاظ لكتاب الله في حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم أخذ عنه **عبد الله بن عباس،و أبو هريرة ،و أبو عبد الرحمن السُّلمي** رضي الله عنهم أجمعين.

4- **زيد بن ثابت** رضي الله عنه وكان ممن أخذ عنه:**أبو هريرة ،عبد الله بن عباس،عبد الله بن عمر،أنس بن مالك** رضي الله عنهم أجمعين.

5- **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه أخذ عنه: **علقمة بن قيس،الأسود بن يزيد النخعي،مسروق بن الأجدع، أبو عبد الرحمن السُّلمي.**

6 **أبو موسى الأشعري** أخذ عنه:**سعيد بن المسيّب،حطان الرقاشي،أبو الرجاء العطاردي.**(1)

وظهر جيل جديد من التابعين ممن تجرّدوا للقراءة و ضبطها حتى اشتهروا بها و صارت القراءة تعرف بأسمائهم موزعين كالآتي:

**1- في المدينة:**

كل من: **ابن المسيّب،وعروة بن الزبير،وعمر بن عبد العزيز،و سليمان بن يسار،و زيد بن أسلم ،و ابن شهاب الزهري،و عبد الرحمن بن هرمز،ومعاذ بن الحارث.**

**2- في مكة المكرمة:**

كل من:**مجاهد ،و طاوس ،وعكرمة ،و ابن أبي مليكة ،وعبيد بن عمير**،و غيرهم.

**3- في البصرة:**

كل من: **عامر بن عبد القيس، و أبو العالية،و نصر بن عاصم،و يحي بن يعمر،و جابر بن الحسن،و ابن سيرين** وغيرهم.

---

- (1) انظر:إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ج1،ص 15،النشر في القراءات العشر ،ج1 ،ص7.

**4- في الكوفة:**

كل من: **علقمة بن قيس النُّخعي، وأبو عبد الرحمن السُّلمي،و الأسود بن يزيد النُّخعي ،و سعيد بن جبير، وعمر بن شرحبيل،و عمرو بن ميمون ، والحارث بن قيس** وغيرهم.

**5- في الشام:**

كل من :**المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب مصحف عثمان، و أبو الدرداء،و خالد بن السعيد،** و غيرهم.

# المبحث الثّالث

## القراءات بين التوقيفية و التوفيقية.

## 1- بين الأحرف و القراءات:

إنّ نـزول القـرآن الكـريم علـى الأحـرف السـبعة المبيّنـة سـابقاً وعلـى الأوجـه الـتي صـنّفها **ابـن الجـزري و الـرازي**،يضـع القـراءات القرآنيـة بـين قطـبي التوقيفيـة و التوفيقيـة، و التوقيـف عمومـاً يكـون بالكتـاب ،و السـنة ،و الإجمـاع ،و الاسـتقراء،و الاسـتدلال،و القيـاس و إن كـان هـذا الأخـير ينـافي تمامـاً حقيقـة التوقيـف إذ لا قيـاس مـع التـواتر، و الأحـرف القرآنيـة توقيفيـة:"أي تعليميـة يتوقـف جـواز القـراءة بهـا علـى تعلـيم الشـارع و إذنـه في ذلك،بـأن تُسمع من لسانه،أو يَأذن في استعمالها."(1)

بـدليل مـا رواه **ابـن مسـعود** رضـي الله عنـه عـن النّبي صـلى الله عليـه و سـلم أنّـه قـال:« أُنْزِلَ القُـرْآنُ عَلَـى سَـبْعَةِ أَحْـرُف لِكُـلِّ حَـرْفٍ مِنْهَـا ظَهْـرٌ و بَطْـنٌ،و لِكُـلِّ حَـرْفٍ حَـدٌّ،ولِكُلِّ حَـدٍّ مَطْلَع. »

أمّـا **القـراءات** فهـي أمـر آخـر يختلـف عـن **الأحـرف**،" فهـذه الأخـيرة هـي الأوجـه الـتي نـزل عليهـا القرآن،أمـا القـراءات فهـي كيفيـة أداء كلمـات القـرآن مـع نسـبة كـلّ وجـه لناقلـه مـن القرّاء أو الرواة(نسبة إلى النّبي) وبالتالي فهي جزء من الأحرف."(2)

يقـول الـدكتور **شـوقي ضـيف**:" لم يفكـر **ابـن مجاهـد** في أن ينفـرد لنفسـه بقـراءة يشـتهر بهـا و تعـرف بـه،و لـو فكـر لاسـتطاع في يسـر أن يتميّـز بقـراءة يختارهـا مـن قـراءات الأئمـة ،و لـيكن مـثلاً **نـافع** أساسـها ،ثمّ يتركـه إلى حـروف يختارهـا مـن لـدّن قـراء آخـرين يخالفه فيها ،و بذلك يصبح صاحب قراءة منفردة متميّزة."(3)

حيـث سـأل رجـل **ابـن مجاهـد** قـائلاً:لمـا لا يختـار الشـيخ لنفسـه حرفـاً يُحمـل عنـه؟ فقـال: نحـن أحـوج إلى أن نعمـل أنفسـنا في حفـظ مـا مضـى عليـه أئمّتنـا أحـوجَ منّـا إلى اختيـار حرف يَقرأ به من بعدنا."(4)

---

- (1) القرآن و القراءات و الأحرف السبعة، عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، دار السلام للطباعة و النشر القاهرة، الطبعة الأولى، المجلّد الأول، ص 195.
- (2) ينظر،علم القراءات-مفهومه ،نشأته،مصدره،أقسامه ومدارسه، منصور كافي،دار العلوم للنشر و التوزيع،ص19.
- (3) إعجاز القراءات القرآنية،صبري الأشوح،ص111.
- (4) معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأمصار،شمس الدين ابن عثمان الذهبي ،تحقيق طيار آلتي قولاج اسطنبول 1995م، ج2 /ص537.

يضعنا **ابن مجاهد و الدكتور شوقي ضيف** أمام المنهج الذّي اعتمده بعض القراء للتميّز بقراءة يُعرفون بها، و هو منهج "**الاختيار**"[1] الذي يعتمد بالدرجة الأولى على المزج بين القراءات و الانتقال بين الأحرف.وقد عرّفه الدكتور **عبد الهادي الفضلي** بقوله:" نستطيع أن نعرّف الاختيار بأنّه:الحرف* الذّي يختاره القارئ من بين مروياته مجتهداً في اختياره."(2)

ويعرّفه **محمد الهرري** بقوله:"و الاختيار في اصطلاح القرّاء:أن يختار القارئ من بين قراءاته و مروياته الّتي أتقنها ليداوم عليها ويلازمها و يُعرف بها وتؤخذ عنه،فتنسب إليه قراءة معيّنه."(3)

كما أشار إليه **أبو الفضل الرازي** (ت606ﻫ):" أُنزل القرآن على سبعة أحرف ،و أنّ النّاس إنّما ثمّنوا القراءات و عشّروها و زادوا على العدد سبعة لأجل هذه الشبهة،و لو اجتمع عدد لا يحصى من الأمّة فاختار كلّ واحد منهم حروفاً بخلاف صاحبه وجرّد طريقاً في القراءة على حدى في أي مكان كان و في أي أوان أراد بعد الأئمة الماضين بشرط الاختيار لما كان ذلك خارجاً عن الأحرف السبعة المنزّلة."(4)

يفتح قول **الرازي** الباب أمام توسع القراءات و زيادة عددها و يضع شرطا واحدا و هو عدم خروجها على الأحرف السبعة ،و هذه الحدود يضبطها حديث النّبي صلى الله عليه و سلم: « أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا ظَهْرٌ و بَطْنٌ،و لِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ،ولِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَع. »

ويقول **مكي بن أبي طالب القيسي** (355ﻫ-437ﻫ):"وهؤلاء اللذّين اختاروا،إنّما قرؤوا بقراءة الجماعة وبروايات ، فاختار كل واحد مما قرأ و روى قراءة تُنسب إليه بلفظ الاختيار."(5)

---

- (1) الاختيار لغة: الاصطفاء و الانتقاء يقول ابن منظور :خيّره بمعنى فضّله.

* كان من المفروض أن يقول (الوجه) الذّي يختاره القارئ بدلاً من قوله (الحرف) لأن الوجه جزء من الحرف.

- (2) القراءات القرآنية تاريخ و تعريف ،عبد الهادي الفضلي ،دار القلم بيروت ،الطبعة الثانية ،ص 105.

- (3) القراءات التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره و الرد عليه من أول القرآن إلى آخر سورة التوبة ،محمد عارف عثمان موسى الهرري، الطبعة الأولى (1406ﻫ) ،ص 136.

- (4) النشر في القراءات العشر،لابن الجزري،ج1،ص 42-43.

- (5) الإبانة عن معاني القراءات ،مكي بن أبي طالب القيسي،تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي،دار النهضة مصر،ص 100.

وعليه فإنّ منهج الاختيار يوازن بين القطبين، التوقيف على الأحرف السبعة الّتي نزل عليها القرآن، و التوفيق في اختيار وجه من الأوجه التي يحكمها الأداء، و يقع هذا الأخير (**الاختيار**) أيضاً على محورين:

**أ- المحورالأول**: و هو الأسبق ،اختيار طريقة الأداء على مستوى الحرف ذاته مثلاً :نشراً تقرأ بأربعة أوجه،بضم النون (نُشُراً) و(نُشْرًا)،و بفتحها (نَشْراً)،و بإبدال النون باءاً (بُشراً) بشرط أن تكون هذه الأوجه مما روي و لا اجتهاد في هذا كأنْ يُضيف القارئ وجهاً آخر لا أصل له في الرواية.

**ب- المحور الثاني**: و هو الاختيار على مستوى القراءات، فيختار القارئ إماما يأخذ عنه قراءته التي عرف بها، و يتبعه في اختياراته فيكون راويةً لا إماماً في القراءة.

من خلال ما سبق يتبين لنا أنّ الاختيار على المحور الأول باب مفتوح ولجه بعض الأئمة و امتنع البعض الآخر كابن مجاهد عن دخوله ،و هو نتيجة حتميّة فرضتها تلك الحرّية الّتي أتاحها حديث النّبي صلى الله عليه و سلم ،فالصحابة رضوان الله عليهم اختاروا من بين القراءات التي سمعوها من النّبي صلى الله عليه و سلم قراءة عُرفوا بها كقراءة **ابن مسعود** ،و قراءة **أُبيّ**،و قراءة **زيد**.

ولكن هؤلاء الأئمة اختاروا و هم بين ظهري النّبي صلى الله عليه و سلم و كلّهم عرض قراءته عليه و أجاز له القراءة بها، فهل تُرك باب الاختيار مفتوحاً؟ و إن كان كذلك فلماذا امتنع بعض المشايخ عن الاختيار واكتفوا بأن يكونوا رواة لا أئمة في القراءة؟

إنّ الإجابة على هذا السؤال تكمن في السر الذّي أدى إلى كثرة القراءات و تشعبها و انفلاتها من العقال الذّي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،حيث رأى بعض الأئمة أنّ الأولوية للإتباع وحفظ قراءات الصحابة المرويّة عن النبّي صلى الله عليه وسلم حتى لا يأخذ حديث الأحرف السبعة منحى آخر يتجاوز ما شرع لأجله.

و لكن هناك من الرواة -اللذّين صاروا فيما بعد أئمة- من أخذ قراءته من عدّة مشايخ و أئمة في القراءة و كلّ منهم يتميّز بوجه خاص به في الأداء أي وجه من الأوجه الّتي حدّدتها الأحرف السبعة المبيّنة سابقاً و قام بالمزج بينها فخلص إلى قراءة جعلته إماماً،يقول الباحث **أمين بن إدريس بن عبد الرحمن**:" إنّ هؤلاء الرواة مختلفون في

تحمّلهم و أدائهم ،فهذا أخذ عن شيخ قراءة معينة ،ثمّ أخذ عن شيخ آخر قراءة أخرى،و عن ثالث ثالثة،و عن رابع رابعة،و هكذا...و ربّما اتّبع الآخذ الأمر الوارد في الحديث بإباحة القراءة على أي وجه من الأحرف السبعة، فاختار مقرئً معيناً، من مجموع ما رواه، و لزم طريقة جديدة في القراءة تنسب إليه."(1)

و هذا ما لحظناه عندما تكلمنا عن تلاميذ أئمة القراء من الصحابة رضوان الله عليهم،**فأبو عبد الرحمن السُّلمي** الذّي كان إماماً في الكوفة تتلمذ على يد **علي بن أبي طالب ،و أبّي بن كعب ،وعبد الله بن مسعود،** وكذلك الأمر بالنسبة **لعبد الله بن عباس** حيث نجده تتلمذ على يد **أبّي بن كعب ،و زيد بن ثابت** رضي الله عنهم أجمعين.

فتعاقب الأجيال على القراءات جعلها طريقاً كثير الشّعب وكلّها تلتقي عند حديث النّبي صلى الله عليه و سلم الذّي أجاز تعدّدها،فبعد جيل الصحابة و التابعين ظهر جيل جديد من المقرئين و هم موزعين كالآتي:

**بالمدينة :أبو جعفر يزيد بن القعقاع ،ثمّ شيبة بن نصاح ،ثمّ نافع بن نعيم.**

و **كان بمكة: عبد الله بن كثير،و حميد بن قيس الأعرج ،و محمد بن محيصن.**

و **بالكوفة: يحي بن وثاب،و عاصم بن أبي النجود،و سليمان الأعمش،ثمّ حمزة ،ثمّ الكسائي.**

**وكان بالبصرة: عبد الله بن أبي إسحاق ،و عيسى بن عمر ،و أبو عمرو بن العلاء،ثمّ عاصم الجحدري ،ثمّ يعقوب الحضرمي.**

**و كان بالشام: عبد الله بن عامر ،و عطية بن قيس الكلابي ،و إسماعيل بن عبد الله بن المهاجر،ثمّ يحي بن الحارث ،ثمّ شريح ابن يزيد الحضرمي.**

و لكن هذه القراءات لا بد لها من ضوابط تضع حدوداً لمنهج الاختيار حتى لا يتجرأ كل من هبّ و دبّ على الخوض في هذا العلم الجليل،و قد اجتهد العلماء في وضع هذه الشروط حتى تكون القراءة صحيحة يجوز القراءة بها ،وأي قراءة لم تستوفي هذه الشروط ردّها العلماء و صنفوها ضمن القراءات الشاذة التي لا يجوز القراءة بها.

---

- (1)رسالة ماجستير بعنوان:الاختيار عند القراء مفهومه،مراحله،و أثره في القراءات،أمين بن إدريس،ص75.

# المبحث الرابع

## مقاييس قبول القراءة

## 1- جهود العلماء في ضبط القراءات:

كما سبق و أشرنا فإنّ توسع الدولة الإسلامية مدّ حاجة النّاس إلى من يعلمهم أمور دينهم، و كان القرآن المصدر الرئيس الذّي اعتمد عليه العلماء استناداً إلى السنّة النبويّة، و من بين هؤلاء الذّين حملوا الراية و ركبوا أقدامهم متزوّدين مما نقلوا عن النّبي صلى الله عليه و سلم "**القراء**"،و هم اللذّين تخصصوا في علم القراءات و أمضوا حياتهم في خدمة القرآن و علومه، لكنّهم كانوا درجات في الإتقان و طريقة النقل فمنهم من أخذ القراءة روايةً أي أن يأخذ القارئ عن شيخه حروف الخلاف فقط دون أن يختم عليه ختماً كاملاً ،و يعبّر القراء عنه في أسانيدهم بقولهم:حدّثنا أو أخبرنا،و منهم من أخذ القراءة روايةً و هذا الوجه أقوى في الصّحة و يكون بقراءة الطالب على شيخه ختماً كاملاً بتلك القراءة بعينها لأنّ القراءة لا تحكمها إلاّ المشافهة،فكان منهم المتقن وغير المتقن يقول **الإمام ابن الجزري**(ت833هـ) في هذا الباب:" ثمّ إنّ القراء كثروا و تفرّقوا في البلاد و انتشروا و خلفهم أمم بعد أمم ،عرفت طبقاتهم ،و اختلفت صفاتهم ،فكان منهم المتقن للتلاوة المشهور بالرواية و الدراية ،و منهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف،و كثر بينهم لذلك الاختلاف ،و قلّ الضبط ،و اتسع الخرق ،وكاد الباطل يلتبس بالحقّ ،فقام جهابذة الأمّة،و صناديد الأئمّة ،فبالغوا في الاجتهاد،وبيّنوا الحقّ المراد وجمعوا الحروف و القراءات ،وعزوا الوجوه و الرّوايات ،و ميّزوا بين المشهور و الشاذ ،و الصحيح و الفاذ،بأصول أصّلوها،و أركان فصّلوها."(1)

أشار **ابن الجزري** إلى الأصول التي اعتمد عليها علماء القراءات في ضبط هذا العلم مبيّناً السبب الرئيسي الذّي دفعهم إلى الاجتهاد ،و توجيه أقلامهم نحو ترسيخ قواعد قويّة يعتمد عليها الطالب في علم القراءات ،كما أنّها تضع حدًا للخروق التي فتحها التصريح بالاختيار الذاتي الناجم عن مكتسبات ثقافية أدت إلى الخلط بين القراءات الصحيحة و القراءات الشاذّة، ولا غنى للقارئ إلاّ الاعتماد على هذه الأسس حتى لا يشوب تلك القراءة إنكار على جميع المستويات فكم من قراءة أنكرها بعض علماء النحو و اللغويين ،و لكنّ إنكارهم غير مبرّر كونه يعتمد على القياس الذّي يسقط مع قوة النقل و الرواية،و قد خلق هذا الأمر جدلاً واسعاً بين العلماء نظراً لاختلاف توجهاتهم والخلفيات المعتمدة لديهم،و لم يقتصر هذا الاختلاف على قبول القراءة أو ردّها

---

- (1) النشر في القراءات العشر،لابن الجزري ،تحقيق،محمد الضّبّاع،دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ج1،ص9.

و إنّما تعدى ذلك إلى المقاييس المعتمدة في القبول و الردّ ،و هذا الأمر يحيلنا إلى أنّ السبب الرئيسي في عدم الاتفاق على عدد القراءات الصحيحة هو الاختلاف في هذه المقاييس ،فكلّ عالم جعل مبرّرات لنظريته مصنّفا القراءات وفق متطلبات الباب الذّي ولج منه ،فالنّحوي يقبل ما يوافق النحو و يردّ ما يخالفه و إن كان قوياً في الصحة،و الفقيه قد يرفض قراءة تخالف حكماً من الأحكام و إن كان الغرض منها التهوين على الأمّة ،و يدلي **النُّويري** بدلوه قائلاً :"الرجوع في الجواز و عدم الجواز (في قبول القراءات و ردّها و غير ذلك )إنّما هو لأئمة الفقه الذّين يفتون في الحلال و الحرام."(1)

وهذا ما حدث في عهد النّبي صلى الله عليه و سلم حين كان بعض الصحابة إذا سمعوا قراءة تخالف قراءتهم يتعجبون و يردّونها حتى يتحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فيقبلها إن وافقت ما جاء به و يصوّبها إن خالفت ذلك ،و لكن هذا الحكم كان في عهد النّبي صلى الله عليه و سلم و هو الحاكم الذّي لا يُردّ حكمه،و الحكم الثاني هم الصحابة رضوان الله عليهم فهم الفقهاء لأنّهم أخذوا عن النّبي صلى الله عليه و سلم ،يقول الدكتور **عبد الغفور محمود مصطفى**:"وقراءة الصحابي المقرئ مقبولة ،فإن سألت من الذّي يحكم بقبولها ؟ قلت هو الذّي بإقرائه و تلاوته التعبدية يحكم بأنّها تقبل و لا وجه للرجوع إلى غيره في الفتوى و الفقه." (2)،و الحكم الثالث بعدهم هم القراء أنفسهم ، و هذه هي أهم التصنيفات التي وضعها علماء القراءات حيث قال الإمام **جلال الدّين البلقيني**:"القراءة تنقسم إلى متواتر ،و آحاد،و شاذ."(3)

## 2- تصنيف القراءات:

### 1- المتواتر:

"هو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه،و غالب القراءات كذلك."(4)

وهي سبع قراءات و المقصود بالجمع هم الثّقات من الصحابة و التابعين و من تبعهم .

---

- (1)القرآن و القراءات و الأحرف السبعة،عبد الغفور محمود مصطفى جعفر،ص 647.
- (2) المرجع نفسه 646.
- (3) الإتقان في علوم القرآن،جلال الدين السيوطي،ص163.
-(4) المصدر نفسه،ص166

**2- المشــهور**:"هـو مـا صـحّ سـنده و لم يبلـغ درجـة التـواتر ،و وافـق العربيـة و الرسـم،و اشتهر عند القراء،فلم يعدّوه من الغلط و لا من الشذوذ"(1)

**3- الآحــاد**:"الـذّي فُقـد فيـه التـواتر "(2)،أو هـو مـا صـحّ سـنده و خـالف الرسـم أو العربيـة،أو لم يشـتهر الاشـتهار المطلـوب ،ومـن ذلـك مـا رواه **ابـن عبـاس** أنّ رسـول الله صـلى الله عليه و سلم قرأ:"لقد جاءكم رسول من أَنْفَسكم" بفتح الفاء.

**4- الشّاذ**:"هو ما لم يصحّ سنده" (3)،كقراءة (إياك يُعبد) ببنائه للمجهول.

## 3- جهود ابن الجزري في ضبط القراءات:

**يقـول ابـن الجـزري**:"كـلّ قـراءة وافقـت العربيـة و لـو بوجـه ،و وافقـت أحـد المصـاحف العثمانيـة و لـو احتمـالاً ،فهـي القـراءة الصـحيحة الـتي لا يجـوز ردّهـا ،و لا يحـلّ إنكارهـا ،بـل هـي مـن الأحـرف السبعة الـتي نـزل بهـا القـرآن ،و وجـب علـى النّـاس قبولها،سواء كانـت عـن الأئمـة السـبعة ،أم عـن العشـرة ،أم عـن غـيرهم مـن الأئمـة المقبـولين،ومتى اختـلّ ركـن مـن هـذه الأركـان الثلاثـة أطلـق عليهـا ضـعيفة أو شـاذّة أو باطلة،سـواء كانـت عـن السـبعة أو عمّن هو أكبر منهم."(4)

و قـراءة الأئمـة السـبعة الـتي تعتـبر أسـاس الصّـحة منقسـمة إلى مجمـع عليـه و شـاذّ يقـول الإمـام **أبـو شـامة المقدسـي**(599هـ-665هـ):" إنّ القـراءة المنسـوبة إلى كـلّ قـارئ مـن السـبعة و غـيرهم منقسـمة إلى المجمـع عليـه و الشـاذّ، غـير أنّ هـؤلاء السبعة لشـهرتهم و كثـرة الصـحيح المجمـع عليـه في قـراءتهم تـركن الـنفس إلى مـا نقـل عـنهم فـوق مـا ينقـل عـن غيرهم."(5)،و لكن قول **ابن الجزري** يضع أمامنا أسساً جديدة في قبول القراءة وردّها.

**أ- موافقـة العربيـة و لـو بوجـه**: **يقـول ابـن الجـزري**:"فقولنـا في الضـابط (ولـو بوجـه )نريـد بـه وجهـاً مـن وجـوه النحـو ،سـواء كـان أفصـح أم فصـيحاً،مجمعاً عليـه أم مختلفـاً فيـه اختلافـاً لا يضرُّ ،إذا كانت القراءات مما شاع و ذاع،و تلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح إذ هو

---

- (1) الإتقان في علوم القرآن ،جلال الدين السيوطي،ص166.
- (2) تحبير التيسير لابن الجزري في القراءات،تحقيق عبد الفتاح القاضي ،دار الكتاب العربي،ص216.
- (3) الإتقان،ص 167.
- (4) النشر في القراءات العشر لابن الجزري،ج1 ص9.
- (5) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز،أبو شامة المقدسي ،دار وقف الديانة أنقرة،تركيا، ص158.

الأصل الأعظم والركن الأقوم."(1)

و هذا ما أشار إليه **الداني** بقوله:"إذا ثبتت الرّواية لم يردّها قياس عربية و لا فشو لغة."

**ب- موافقة أحد المصاحف:قال ابن الجزري:**"و نعني به ما كان ثابتاً في بعض المصاحف دون بعض،كقراءة ابن عامر:(قالوا اتخذ الله ولداً) البقرة -166- بغير واو ،و قراءة (و بالزبر و بالكتاب) آل عمران-184- بإثبات الباء فيهما،فإنّ ذلك ثابت في المصحف الشامي...،فإن لم تكن في شئ من المصاحف العثمانية فشاذّ لمخالفتها الرسم المجمع عليه."(2)

و الموافقة تكون:

إمّا **احتمالاً** أي تقديراً كقراءة:(ملك يوم الدين) ،فإنها كتبت في جميع المصاحف بلا ألف.

وإمّا **تحقيقاً** كقراءة (تعلمون) بالتاء و الياء، و هذا نظراً لتجرّد الكتابة في عهد الصحابة من النقط.

**ج- صحة السّند:يقول ابن الجزري:**"و نعني به أن يروي تلك القراءة العدل الضابط."(3)

لقد وضع **ابن الجزري** بقوله و تفصيله الذّي أجاز فيه و وافقه أغلب العلماء و استندوا إليه في تصنيف القراءات و قبولها أو ردّها منهجاً يبين على مدى استيعابه لهذا العلم ،منهجاً وضع حداً لأي خرق قد يفكر فيه من تخوّل له نفسه ذلك ،حيث جمع فيه بين الأركان الأساسية التي تضع أي قراءة إمّا في خانة الصحة و القبول،أو الضعف و الردّ،و قد جمعها في قوله:

**فكلّ ما وافق وجه نحو و كان للرسم احتمالاً يحوي**
**و صحّ إسناداً هو القرآن فهذه الثلاثة الأركـــــان**
**و حيثما يختل ركن أثبت شذوذه لو أنّه في السبعة .(4)**

---

- (1) النشر في القراءات العشر لابن الجزري،ج1 ،ص10.
- (2) ينظر،المصدر نفسه،ج1،ص11.
- (3) نفسه،ج1،ص 12.
- (4) طيبة النشر في القراءات العشر،ابن الجزري،تحقيق محمد تميم الزعبي،مكتبة دار الهدى، ص 32.

و هذه الأركان منها واحد هو الأصل (صحة السند)،أمّا الركنيين الآخرين فيلحقان به لأن صحة السّند تلغي القياس ،فمن العلماء من حاول إخضاع القراءات لقوانين هي في الأصل وضعية و ليست مرجعاً أساسياً و لا أصولاً يجب أن لا تخالف ،ومن يعتقد بذلك فقد تعدى على قدسية القرآن و القراءات في حدّ ذاتها ،ومن يردّ قراءة لأنها تخالف قاعدة نحوية فيحكم عليها بالضعف فقد ردّ آية من آيات القرآن الحكيم،و لكن من العلماء من لم يكتف بصحة السند و اشترط في ذلك التواتر ،يقول ابن الجزري:"و قد اشترط بعض المتأخرين التواتر لقبول القراءة و لم يكتف بصحة السند."(1)

## 4- القراءة بين التواتر و صحة السند:

جعل بعض العلماء التواتر شرطاً من شروط صحة القراءة استناداً إلى تعريف القرآن الكريم "المنقول إلينا بالتواتر"،و **التواتر** كما عرّفه **البغدادي**:"هو نقل جماعة عن جماعة تحيل العادة تواطؤهم على الكذب من أول سند إلى منتهاه."(2)

ولكن **ابن الجزري** يرى خلاف ذلك حيث يقول:"و إذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة و غيرهم و لقد كنت أجنح إلى هذا القول ثمّ ظهر فساده."(3)

كما يرى **الطاهر ابن عاشور** أنّ الشروط الثلاثة الأولى التي رآها ابن الجزري كافية لأن تجعل القراءة صحيحة ،و إن لم تكن متواترة ،حيث يراها بمنزلة الحديث الصحيح،أمّا القراءة المتواترة فهي حجة في اللغة العربية يقول الشيخ:" و إنّ المصحف الإمام ما رسموه إلاّ إتباعاً لأشهر القراءات المروية من زمن النّبي صلى الله عليه و سلم،و قراءة أصحابه،فإن حفظ القرآن في صدور القراء أقدم من كتابته في المصاحف،و ما كتب في أصول المصاحف إلاّ من حفظ الكاتبين ،وما كتب المصحف الإمام إلاّ من مجموع محفوظ الحفاظ."(4)

و يرى **أبو شامة المقدسي** ما يراه الشيخ **الطاهر بن عاشور** و الإمام **ابن الجزري** إذ

---

- (1) النشر في القراءات العشر ،ابن الجزري،ج1/ص13.
- (2) في علوم القراءات مدخل و دراسة و تحقيق، رزق الطويل،المكتبة الفيصلية،مكة المكرّمة،ص49.
- (3) النشر في القراءات العشر،ج1/ص13.
- (4) التحرير و التنوير ،الطاهر بن عاشور،ج 16/ص143.

يقول:" لا يشترط التواتر في القراءات،و يكفي ثبوت القراءة بالنقل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم،فتكفي الآحاد الصحيحة و موافقة خط المصحف،فكل قراءة ساعدها خط المصحف مع صحة النقل فيها ومجيئها على الفصيح من لغة العرب فهي قراءة معتبرة"(1)

إنّ تواتر أي قراءة يجعلها صحيحة و مرجعاً أساسياً للقراء و أئمة التفسير ،و لا يلزم معه الشرطان الآخران (موافقة خط المصحف- موافقة العربية) لأنّ مقامها مقام الأحاديث الصحيحة التي لا يمكن لأي كان أن يطعن فيها، يقول **ابن الجزري**:"إنّ التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنيين الآخرين من رسم أو غيره."(2)

و نقل عن **الجعبري**[3]قوله:"أقول الشرط واحد و هو صحة النقل و يلزم الآخران."(4)

ومن هنا يظهر الفرق فيما قرّره **ابن الجزري** من شروط سابقة فمع التواتر لا يشترط موافقة خط المصحف و موافقة العربية ،و أما مع صحة السند أي انتهاء القراءة إلى الرسول صلى الله عليه و سلم أي أن يروي تلك القراءة العدل الضابط مثل ما عرّفه **ابن الجزري** مع غياب التواتر، ففي هذه الحالة يجب الرجوع إلى الشرطين السابقين،ومثال على ذلك قول الحق سبحانه وتعالى:"قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ"(5)

فأما عن قراءة **أبو عمرو** (68ﻫ- 154ﻫ):"إنَّ هَذَيْن" بتشديد النون و ياء بعد الذال،فقال **القرطبي** (671ﻫ) "هي مخالفة للمصحف و لكن ذلك لا يطعن فيها لأنّ روايتها صحيحة و هي توافق وجهاً مقبولاً في العربية."(6)

---

- (1) الإمام محمد الطاهر بن عاشور و منهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير و التنوير،محمد بن سعد بن عبد الله القرني،ص38.
- (2) النشر في القراءات العشر،ابن الجزري،ج1/ص13.
- (3) إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل بن العباس (ت732ه)- ينظر غاية النهاية ج1/ص21.
- (4) القراءات عند ابن جرير الطبري في ضوء اللغة و النحو ،ج1/ص 80
- (5) الآية (63)،سورة طه.
- (6) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ،تحقيق عبد الرزاق المهدي،دار، الكتاب العربي بيروت لبنان،ط5 (1423ه-2003م)،ج11/ص195.

هـذا و الأمثلـة علـى ذلـك كثـيرة، و لكـن المجـال الـذّي لعـب دوراً أساسـياً في توجيـه القـراءات القرآنيـة وتصـنيفها هـو النحـو الـذّي كـان بمثابـة قـانون المـرور رغـم تجـاوزه للحـدود في بعـض المسـائل،فالمفروض هـو أن يسـتمد هـذا الأخـير ضـوابطه مـن القـرآن لا مـن الأوسـاط الأدبيـة كالشـعر و النثـر ثمّ يقـيس عليهـا ،و هـذا هـو السـبب في حـدوث الصـدام بـين القـراءات و النحـو في عديـد النقـاط و حـتى بـين النحـويين أنفسـهم ممثلين في مدرسـة البصـرة والكوفـة.

يقـول الـدكتور **أحمـد بـن محمـد الخـراط:**" و قـد بـذل النحـاة جهـداً فائقـاً لخدمـة القـرآن بمختلـف قراءاتـه المتـواترة و الشـاذة،فوجّهوها بالتعليـل المسـتند إلى الأصـول المعتمـدة عنـدهم،و استشـهدوا علـى ذلـك بالشـواهد الفصـيحة الـتي جمعوهـا مـن البـوادي عـبر رحلاتهـم العلميـة المديـدة و قـد اسـتندوا إلى هـذه القـراءات في تأصـيل قواعـدهم ،و إرسـاء معالم الصناعة النحوية و الصرفية،و ضبط مفردات اللغة."(1)

– (1) عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم،أحمد بن محمد الخراط، ص54.

# المبحث الخامس

## القراءات في ضوء القواعد الصارمة للنحو.

عرفت الدراسات النحوية تطوراً كبيراً بعد ربطها بعلم القراءات لأنّ أغلب القراء كانوا نحويين **كأبي عمرو بن العلاء** و **عيسى بن عمر الثقفي** و **يونس و الخليل**،فقد شغلت القراءات أذهانهم ،يقول الدكتور **عبد العال سالم مكرم**:"و لعلّ اهتمامهم بهذه القراءات وجههم إلى الدراسة النحوية و اللغوية ليلاءموا بين القراءات و العربية ،بين ما سمعوا و رووا من القراءات و بين ما سمعوا و رووا من كلام العرب."(1)

و على إثر ذلك نشأت مدرستان لكلّ توجهها و أصولها من باب الاستدلال بالقراءات،فأما المدرسة البصرية فكانت لا تحتج بالقراءات إلاّ في القليل النادر لأنها بنَت قواعد نحوها على ما أُثر من كلام العرب و الشعر محاولة بذلك إخضاع ما نقل بالرواية الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم لقواعدها وفق ما يتناسب مع أصولها و يتناسق مع مقاييسها ،فكان منهجها منكراً ،و قد عجب "**ابن حزم**" من منطق البصريين إزاء القراءات قائلاً:"من النحاة من ينتزع من المقدار الذي يقف عليه من كلام العرب حكماً لفظياً و يتخذه مذهباً،

ثمّ تعرض له آية على خلاف ذلك الحكم،
فيأخذ في صرف الآية عن وجهها."(2)

**-المنحنى(أ)-**

- (1) أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية،عبد العال سالم مكرم،مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ط2(1417هـ- 1996م)،ص10.

- (2) أصول النحو،سعيد الأفغاني،مطبعة الجامعة السورية،الطبعة الثانية،ص 29.

وقال في موضع آخر:"ولا عجب أعجب ممّن إن وجد **لامرئ القيس**،أو **لزهير**،أو **لجرير** ،أو **للحطيئة** ،...أو من سائر العرب لفظاً في شعر أو نثر جعله في اللغة و قطع به ،و لم يعترض فيه،ثمّ إذا وجد لله تعالى خالق اللغات و أهلها –كلاماً لم يلتفت إليه، ولا جعله حجة، و جعل يصرفه عن وجهه و يحرّفه عن موضعه."(1)

يقول الدكتور **إبراهيم السامرائي**:"لقد اعتمدوا لغة التنزيل(مدرسة البصرة) ،و لكنّهم ضيقوا في هذا أشد الضيق،فلم يأخذوا بقراءات عدّة و هي شيء في العربية ،و لها أساس في لغات العرب."(2)

**تعليق على المنحنى البياني:**

يمثّل المنحنى(أ) مرحلتين مرّب هما النحو العربي و في نفس الوقت نقاط تصادمه مع القراءات، و هذه النقاط تمثّل بُعد القراءات أو قُربها من قواعد النحو، فعندما احتك النحو بالقراءات القرآنية شهد حركة تطور كبيرة على جميع المستويات وحدث العكس عندما اتّخذ قواعده قانوناً تسير عليه القراءات ،ويمكن تلخيص المراحل التي مرّ بها النحو العربي كما يلي:

**أ– النحو الوصفي**: أين استمد هذا العلم (النحو) حقيقته من الوسط الشعبي المتمثّل في المصدرين الرئيسيين للأدب العربي و هما الشعر و النثر ،و لما كثر اللّحن بسبب مخالطة العرب للعجم و سائر الثقافات الأخرى توجه علماء العربية و خاصة النحويون – مدرسة البصرة و الكوفة–إلى وضع حدّ لهذه التجاوزات التي تهدم لغة القرآن،ومن هنا بدأ ما يسمى بالتقعيد فاتخذت كلّ مدرسة طريقاً لبناء هذه القواعد.

**ب– النحو التعليمي**: أين صار النحو العربي مجرد قواعد يعود إليها المتعلّم حتى لا يقع في الخطأ من غير تجاوز،و لكن لما تعدى الأمر إلى كتاب الله عزّ وجلّ و مسّ القراءات القرآنية هنا في هذه النقطة وقع الصدام بين النحو و القراءات،النحو ذو الطابع البشري الذّي لا يمكن اعتباره مسلمات لأنّه واقع و ليس مثالاً ،و القراءات التي اعتبرناها في السابق مثالاً لأنّها وحي من الله سبحانه و تعالى كما أنّها تمثّل أصول اللغة العربية

---

– (1) ينظر ،أصول النحو،سعيد الأفغاني،ص 29.

– (2) المدارس النحوية أسطورة و واقع،إبراهيم السامرائي،دار الفكر للنشر و التوزيع،عمّان،الطبعة الأولى، (1987م) ،ص22.

وماهيتها ،فقد جمعت اللهجات العربية و أفرغتها في مشكاة من نور تمثّلت في القرآن الكريم و لا أحد يجرؤ مهما أوتي من العلم أن يردّ قراءة من القراءات الصحيحة لأنها تخالف قاعدة استمدها من الشعر أو النثر ،و هذا الصدام لم يخدم النحو العربي و لا القراءات بل خلق مرحلة ركود جعلت طالب النحو يعيش في دوامة من الاضطرابات في الآراء و الأفكار وجعلت قارئ القرآن يخُضع لسانه لقراءة واحدة ملغياً القراءات الأخرى و هذه بعض المسائل التي تمثّل الصدام الحاصل بين القراءات و النحو أو بين من جعلوا القرآن مرجعاً لأصولهم و بين من جعلوا كلام العرب في مقدّم أولوياتهم.ومن بين المسائل التي تعطي طابع التشدّد في المسائل النحوية بين البصرة و الكوفة وقوع **إلاّ** بمعنى **الواو**

ذهب الكوفيون إلى أنّ (إلاّ) تكون بمعنى (الواو) و احتجوا بقوله تعالى:"وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ( إِلَّا )ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ "(1)

أي "**و لا اللذّين ظلموا منهم**"،و أيدوا حجتهم بقراءة بعض القراء "**إلى اللذّين ظلموا**" مخففاً بمعنى "**مع اللذّين ظلموا منهم**" و قالوا إنّ (**إلى**) تعني (**مع**) و احتجوا بقوله تعالى:"**من أنصاري إلى الله**" أي **مع** الله ،و قوله تعالى:"**و لا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم**" أي مع أموالكم ،ولكن نحاة البصرة نقضوا هذا الدليل و قالوا:و أما قراءة من قرأ "**إلى اللذّين ظلموا منهم**" بالتخفيف،فإن صحّ و سلم لكم ما ادعيتموه على أصلكم من أن تكون (**إلاّ**) المخففة بمعنى (**مع**) فليس لكم حجة على أنّ (**إلاّ**) تكون بمعنى (**الواو**) لأنّه ليس من الشرط أن تكون إحدى القراءتين بمعنى الأخرى و إذا اعتبرتم هذا في القراءات وجدتم الاختلاف في معانيها كثيراً جداً،و هذا مما لا خلاف فيه ،و إذا ثبت هذا فيجوز أن تكون قراءة (**إلاّ**) بالتخفيف بمعنى (**مع**) و ليس (**الواو**)،و قراءة (**إلاّ**) بالتشديد بمعنى (**لكنّ**)."(2)

---

- (1) الآية (150) ،سورة البقرة.
- (2) أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية،عبد العال سالم مكرم،ص 60.

و قد لا تمثل هذه القاعدة موضع الخلاف بين الكوفة و البصرة، بين قواعد الواقع و قطعية المثال و لكن إذا نظرنا إلى دليل البصريين وجدناه يعتمد على مرجع مسبق يمثل ضابطاً نحوياً لا يمكن مخالفته في رأيهم ،و يمكن توضيح ذلك من خلال الخلاف الواقع حول توجيه قراءة أهل الشام في قوله تعالى:"وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ "(1)

قال **الطبري**(**224هـ–310هـ**):"قرأ أهل الشام "**زُيّن**" بضم الزاي ،و "**قتلُ**" بالرفع،و "**أولادَهم**" بالنصب ،و "**شركائهم**"بالخفض،و المعنى (و كذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم) ففرّقوا بين الخافض و المخفوض ،و ذلك في كلام العرب قبيح غير فصيح...و القراءة التي لا أستجيز غيرها " **زَيّن**" بفتح الزاي،و نصب"**قتلَ**" بوقوع الفعل زيّن عليه،و خفض "**أولادهم**" بإضافة القتل إليهم و رفع"**شركاؤُهم**" لأنّهم هم الذّين زيّنوا للمشركين قتل أولادهم على ما ذكرت من التأويل."(2)

و يدلي **الزمخشري** بدلوه في هذه الآية قائلاً:"قتل أولادهم شركائهم" برفع "**قتلُ**"،ونصب"**أولادَ**" و خفض"**شركائهم**" بإضافة القتل إلى الشركاء،و الفصل بينهما بغير ظرف.

ثمّ قال عن **ابن عامر** صاحب هذه القراءة:و الذّي حمله على ذلك أنّه رأى في بعض المصاحف "**شركائهم**" مكتوبةً بالياء، و لو قرأ بجر"**أولادهم**" و"**شركائهم**"، لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب." (3)

وفي قوله تعالى:"يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ

---

- (1) الآية (137)،سورة الأنعام.

-(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،أبو جعفر بن جرير الطبري ،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي،دار هجر للطباعة و النشر، الطبعة الأولى (1422هـ 2001م)،ج8 ،ص31.

-(3) أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية،عبد العال سالم مكرم،ص 75.ينظر:الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري،فاضل السامرائي،ص 41.

وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا "(1)

قرأ **حمزة** بجرّ الأرحام،والباقون بنصبها. ولقد أثار بعض النحويين والمفسرين إثارات كثيرة حول قراءة **حمزة**، وردّوها بحجة مخالفتها القواعد العربية، وبأن العرب لا تنسق اسماً ظاهراً على ضمير كما قال **الطبري**(2)- أي لا تعطف-، وذهب بعضهم يفتّش وينقّب عن أبيات من شعر ليصحّح بها قراءة **حمزة**، ولم يحسنوا صنعاً فلا يجوز أن نردّ قراءة متواترة من أجل قاعدة قعّدها بعض النحويين ،ولقد ردّ كثير من العلماء والأئمة والمفسّرين واللغويين على هذه الإثارات مؤكدين أن "**حمزة بن حبيب**" لم يقرأها لحناً وإنّما نقلها مشافهة نقلاً ثَبُت تواتره إلى النّبي صلى الله عليه وسلم،وممن ردّ على هذه الإثارات "**الفخر الرازي**" و"**الآلوسي**" ، إذ يقول هذا الأخير: "وقرأ حمزة بالجرّ، وخرجت في المشهور على العطف على الضمير المجرور، وضعّف ذلك أكثر النحويين بأن الضمير المجرور كبعض الكلمة لشدة اتصاله بها، فكما لا يعطف على جزء الكلمة لا يعطف عليه."(3)

قال **الزجاج**(ت311هـ):"و القراءة الجيّدة نصب"**الأرحامَ**"،المعنى:واتقوا الأرحامَ أن تقطعوها،فأمّا الجرّ في "**الأرحام**" فخطأ في العربية ،لا يجوز إلاّ في اضطرار شعر و خطأ أيضاً في أمر الدّين عظيم لأنّ النّبي صلى الله عليه و سلم قال: لا تحلفوا بأبائكم ،فكيف يكون تتساءلون به و بالرحم ،و يقول معلّلاً:و إجماع النّحاة أنه يقبح أن ينسق باسم ظاهر على اسم مضمر في حال الجرّ إلاّ بإظهار الجار،يستقبح النحويون :**مررت به و زيد**،..حتّى يقولوا **به و بزيد** ،فقال بعضهم :لأنّ المخفوض حرف متصل غير منفصل فكأنّه كالتنوين في الاسم فقبح أن يعطف باسم يقوم بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه."(4)

و هو أيضاً ما رآه المبرّد حيث شنّع قراءة حمزة حين قال:" و هذا مما لا يجوز عندنا إلاّ أن يضطر إليه الشاعر" (5)،و تبعه في ذلك جمعٌ من العلماء من بينهم "**ابن عطية**".

و لكنّ **ابن جنّي** يدافع عن هذه القراءة قائلاً:" ليست هذه القراءة عندنا من الإبعاد و الفحش

---

- (1) الآية (1)،سورة النساء.

-(2) جامع البيان،الطبري ،ج4/ص152.

-(3) روح المعاني،الآلوسي ،ج4/ص 184-185.

-(4) معاني القرآن وإعرابه،للزجّاج أبي إسحاق إبراهيم ،تحقيق عبد الجليل شلبي ،عالم الكتب،ط1،ج2/ص6.

- (5) الكامل في اللغة و الأدب،أبو العباس المبرّد،تحقيق الدكتور زكي مبارك ،ج2/ص 749.

و الشناعة و الضعف على ما رآه فيها و ذهب إليه أبو العباس."(1)

يقصد "**المبرّد**" و هو أستاذ "**الزجاج**" حيث قال **ابن جنّي** لحمزة أن يقول لأبي العباس (المبرّد) إنّني لم أحمل الأرحام على العطف على المجرور المضمر بل اعتقدت أن تكون فيه باء ثانية حتى كأنّي قلت: و بالأرحام،ثمّ حذف الباء لتقدّم ذكرها ."(2)

و الحكم على المتواتر بالرفض ليس بالأمر السهل و من ذلك قوله تعالى:" **فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ**"(3)،فقد روي عن أبي عمرو بن العلاء في الهمزة الكسر و الاختلاس،و هو الإتيان بحركة خفيّة،و السكون المحض،فطعن فيها جماعة من النحويين ،و نسبوا روايتها إلى الغلط على أبي عمرو،قال سيبويه:" إنّما اختلس أبو عمرو فظنّه الراوي سكّن و لم يضبط." (4)

و قال المبرّد :"و لا يجوز التسكين مع توالي الحركات في حرف الإعراب في كلام و لا في شعر و قراءة أبي عمرو لحن."(5)

فردّ عليه **السمين الحلبي** قائلاً:" و هذه جرأة من المبرّد و جهل بأشعار العرب ،فإنّ السكون في حركات الإعراب قد ورد في الشعر كثيراً و منه قول امرئ القيس :

**فاليوم أشربْ غير مسْتحْقب إثماً من الله و لا واغل**

فهذه حركات الإعراب و قد سكّنت و قراءة أبي عمرو صحيحة و ذلك أنّ الهمزة حرف ثقيل،و لذلك اجترئ عليها بجميع أنواع التخفيف ." (6)

ووقع التعدّد كذلك في قوله تعالى:

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ"(7)

---

- (1) الخصائص لابن جني، ج1/ص258.
- (2) ينظر ،المصدر نفسه ،ج1/ ص 285.
- (3) الآية (54)،سورة البقرة.
- (4) الكتاب ،لسيبويه تحقيق عبد السلام هارون ،الطبعة 3(1403هـ-1983م)،مصر،ج2/ ص 297.
- (5) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي،تحقيق الدكتور احمد الخراط،دار القلم دمشق (1406هـ) ج1/ص361.
- (6) المصدر نفسه،ج1/ص 362.
- (7) الآية (06) ،سورة المائدة.

وأخرج ابن جرير عن أبي عبد الرحمن قال : "قرأ الحسن والحسين { وأرجلكم إلى الكعبين } فسمع علي ذلك وكان يقضي بين الناس فقال : أرجلكم هذا من المقدم والمؤخر في الكلام."(1)
يقول أبو جعفر النحاّس:"من قرأ بالنّصب جعله عطفاً على الأول.
ثمّ قال :إنّ الأخفش و أبا عبيدة يذهبان إلى أنّ الخفض على الجوار و المعنى للغسل ،و قال الأخفش :مثله هذا جحر ضبّ خرب- قال أبو جعفر معقباً :هذا القول غلط عظيم،لأنّ الجوار لا يجوز في الكلام أن يقاس عليه و إنّما هو غلط."(2)

ويقول الزمخشري أيضاً:"إنّه مخفوض على الجوار و ليس بجيد إذ لم يأت الخفض على الجوار في القرآن الكريم و لا في الكلام الفصيح وإنّما هو شاذ في كلام من لا يؤبه له من العرب."(3)
و يقول الزّجاج:"فأماّ الخفض على الجوار فلا يكون في كلمات الله."(4)

و على الأغلب فإنّ هذا التعدّد الواقع في القراءة لا يمثّل أي اختلاف قد يعتقد البعض أنّه تناقض ،و لكن الأصل في القراءة هو النّصب فيكون كما قال النحّاس عطفاً على الأول لأنّ السنة بيّنت ذلك من خلال فعل النّبي صلى الله عليه و سلم و لكن الغرض من التأخير هو ترتيب فرائض الوضوء ،و غسل الرجلين هو آخر عضو فناسب موقعها في الكلام موقعها في ترتيب الفرائض،وأمّا من قرأها بالخفض فيجعل المعنى على المسح فهو تخفيف على الأمة لأنّ المسح على الخُفين جائز.

إنّ المسائل التي مرّت بنا و التّي مثّلت دائرة صراع بين النحويين تبين الأثر الكبير الذّي تركته القراءات القرآنية في الدراسات النحوية كما تبرز فضلها في تطور البحث في مجال النحو العربي الذّي كان يرزخ تحت أنقاض التشدّد للمذهب ،فكانت القراءات بمثابة معول كسر هذه القيود التي لا تخدم لا اللغة العربية و لا البحث في القراءات ،و ما هذا الخناق الذّي حاول النحو فرضه على القراءات إلاّ محاولة يائسة للنحويين من أجل إخضاع المثال للواقع ،و هذا ما لم يكن و لن يكون لأنّ قدسية النّص القرآني لا تسمح بتليين الكلمات القرآنية و صبّها في قالب الهوى

---

- (1) القراءات و اللغويات في معاني القرآن للزّجاج،رقية محمد صالح إبراهيم الحزامي،ص9.
- (2) أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية،عبد العال سالم مكرم، ص 69.
- (3) المرجع نفسه، ص69.
- (4) معاني القرآن وإعرابه،للزجاّج أبي إسحاق إبراهيم ،تحقيق عبد الجليل شلبي، ص152.

وعلى النحويين أن يدرسوا قواعد النحو في ضوء القوانين الصارمة للقراءات الصحيحة فيفتحوا بذلك باب واسعاً يمهّد لتطور النحو العربي ،و يبنوا أسساً لا يمكن لأي كان أن يجادل فيها اعتمادًا على قرائن معينة تحدّد من خلالها الدلالة لأنّ النحو يمثل مرجعاً رئيسياً لتحديدها،فالكلمات تتعلق مع بعضها البعض بعلاقات نحوية يتسنى من خلالها للمتكلم التعبير عن المعنى المراد و يمكّن سامعه من فهمه ،اعتماداً على القرائن التي تعينه على الإفصاح عن مقصوده.

وهذه القرائن هي العامل المنتج للدلالة ،و هذا ما سنبيّنه من خلال الفصل الثاني بعرض أمثلة موزعة على مباحث مصنّفة على حسب القرائن من قراءات للقراء التالية أسماؤهم:

*** ابن عامر***

**هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة أبو عمران و قيل أبو عامر يقول عنه أبو عمرو الدانّي:" هو عبدالله بن عامر اليحصبي،قاضي دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك،و هو من التابعين،و ليس في القراء السبعة من العرب غيره و غير أبي عمرو."** (1)

**توفي ابن عامر في السنة الثامنة عشرة بعد المائة (ت118هـ).**

**ذكره الإمام الشاطبي:**

**أبو عمرهم و اليحصبي بن عامر صريح و باقيهم أحاط به الولا.** (2)

*** ابن كثير***

**هو عبد الله ابن كثير بن المطلب بن جعفر ،مولى عمرو بن علقمة الكناني الداري المكي إمام المكيين في القراءة ،أصله فارسي، وكان دارياً بمكة و هو العطار،و قد تصدر للإقراء و صار إمام أهل مكة في ضبط القرآن ،و توفي سنة عشرين و مائة (ت120هـ).**(3)

---

- (1) التيسير في القراءات السبع،أبو عمرو الداني، مطبعة الدولة،الطبعة الأولى، (1349هـ-1930م).ص18.

- (2) الوافي في شرح الشاطبية ،عبد الفتاح عبد الغني القاضي،مكتبة الدار ،المدينة النبوية،الطبعة الأولى،(1404هـ-1983م)،ص21.

- (3) معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأمصار،شمس الدين ابن عثمان الذهبي ،تحقيق طيار آلتي قولاج اسطنبول 1995م.

ذكره الإمام الشاطبي بقوله:

و مكة عبد الله فيها مقامه هو ابن كثير كاثـــر القوم مُعتلى.(1)

* عاصم ابن أبي النَّجود*

هو عاصم بن بهدلة بن أبي النَّجود ،بفتح النون و ضم الجيم، أبو بكر الأسدي مولاهم،الكوفي ،الحناط،شيخ الإقراء بالكوفة،و يقال أبو النجود اسم أبيه ،و بهدلة اسم أمه ،و هو إمام الإقراء بالكوفة. (2)

و هو معدود من التابعين،كما ذكر الذهبي،و ذكر أنّه إليه انتهت الإمامة في القراءة بالكوفة توفي سنة سبع وعشرين ومائة (ت**127**هـ).

وذكره الشاطبي بقوله:

فأمّا أبو بكر وعاصم اسمـــه فشُعبة راويـــــه مبرّز أفضلا

وذاك ابن عياش أبو بكر الرضا و حفص و بالإتقان كان مفصّلا. (3)

* أبو عمرو ابن العلاء*

هو أبو عمرو بن العلاء المقرئ النحوي البصري ،ولد سنة (**68**هـ)،و قيل سنة (**65**هـ)،و قيل سنة (**70**هـ) ،فقرأ بمكة و المدينة ،و قرأ بالكوفة و البصرة على جماعة كثيرة و ليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه،توفي سنة أربع وخمسين ومائة (**154**هـ).(4)

و ذكره الشاطبي بقوله:

و أمّا الإمام المازني صريحهم أبو عمـــــــــروٍ فوالده العلا. (5)

وكان أبو عمرو ملماً بالقراءات و النحو،عربياً أصيلاً ذو باع طويل في النقل و القراءة.

---

- (1) الوافي في شرح الشاطبية،ص17.
- (2) معرفة القراء،ص73-77.
- (3) الوافي،ص19.
- (4) معرفة القراء ،ص 105.
- (5) الوافي، ص18.

*** حمزة الزيّات***

**هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام أبو عمارة الكوفي مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي الزيات ،ولد سنة (80هـ)،و أدرك الصحابة بالسن فلعله رأى بعضهم و كان إماماً حجة قيماً بكتاب الله ،حافظاً للحديث ،بصيراً بالعربية و الفرائض ،عابداً خاشعاً (1)،توفي سنة ست وخمسين ومائة (156هـ)،جاء ذكره في الشاطبية:وحمزة ما أزكـــاه من متورّع إماماً صبوراً للقـــرآن مرتّلاً. (2)**

*** نافع المدني***

**هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم اللَّيثي ،مولاهم أبو رُويم المقرئ المدني،وقيل أبو نعيم،و الأشهر أبو رُويم ،قرأ على طائفة من تابعي المدينة،و كان أسود اللون حالكاً .(3)**

**و قد أقرأ النّاس دهراً طويلاً ما يقرب السبعين سنة،و إليه صارت إمامة القراءة في المدينة توفي سنة تسع و ستين ومائة (169هـ)،و هو الإمام الثاني من أئمة الحرمين بعد ابن كثير ذكره الشاطبي في منظومته قائلاً:**

**فأمّا الكريم السرّ في الطيب نافع فذلك الذّي اختار المدينة منزلاً. (4)**

*** الكسائي***

**هو علي بن حمزة الكسائي الإمام أبو الحسن الأسدي ،مولاهم الكوفي المقرئ النحوي أحد الأعلام ولد سنة عشرين ومائة (120هـ)،و اختلف في تسميته بالكسائي و قيل أنّه أحرم في كساء.**

**و قد ألف كتاب معاني القرآن و كتاب القراءات ،و كتاب العدد، وكتاب النوادر**

---

- (1) معرفة القراء ج1/ ص93.
- (2) الوافي في شرح الشاطبية،ص20.
- (3) معرفة القراء،ج1/ص 89.
- (4) الوافي ،ص 16.

الكبير،وكتاب النوادر الأوسط،وكتاب النوادر الأصغر ،و كتاباً في النحو ،توفي سنة تسع و ثمانين ومائة للهجرة .(1)

و قد خصّه الشاطبي بقوله:

و أمّا علي فالكسائي نعته لما كان في الإحرام فيه تسربلا .(2)

* يزيد بن القعقاع*

هو الإمام أبو جعفر المخزومي المدني،تابعي مشهور كبير القدر، و يقال اسمه جندب بن فيروز،و هو من التابعين الذّين رأوا الصحابة إلاّ أنّه لم يذكر في السبعة لأنهم نظروا في ذلك لكثرة الرواية عن الإمام و لكثرة أتباعه و الناقلين عنه ،توفي سنة سبع وعشرين ومائة (ت**127**هـ)، ذكره ابن الجزري بقوله:

ثمّ أبو جعفر الحبر الرِّضى فعنه عيسى و ابن جمّازٍ مضى .(**3**)

* يعقوب الحضرمي*

هو يعقوب بن إسحاق الحضرمي قارئ أهل البصرة في عصره،الإمام أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق مولى الحضرميين،كان عالماً بالعربية ووجوهها،و القرآن ،فاضلاً نقياً تقياً ورعاً ،ومن زهده أنّه سُرق زاده عن كتفه في الصلاة و لم يشعر،و رُّد إليه و لم يشعر لشغله بالصلاة (4)،توفي سنة خمسين و مائتين (**250**هـ)،و قد ذكره ابن الجزري قائلاً:

تاسعهم يعقوب وهو الحضرمي له رويسٌ ثـمّ روحٌ ينتـــمي.(5)

---

- (1) معرفة القراء ،ج1/ص107.
- (2) الوافي،ص20.
- (3) طيبة النشر في القراءات العشر ،ابن الجزري،ص12.
- (4) معرفة القراء،ج1/ص130-131.
- (5) طيبة النشر،ص13.

*** خلف البزّار***

**هو خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب بن هشيم بن ثعلب بن داود بن مقسم بن غالب أبو محمد الأسدي ،ولد سنة خمسين ومائة (150هـ)،و حفظ القرآن و هو ابن عشر سنين ،و ابتدأ في الطلب و هو بن ثلاث عشرة سنة ،و كان ثقة كبيراً زاهداً عابداً عالماً ،و روي عنه أنّه قال أشكل عليّ باب من النحو فأنفقت ثمانين ألف درهم حتى حفظته،وكان يكره أن يقال له البزّار ،توفي سنة تسع و عشرين ومائتين (ت229هـ)(1)،قال عنه ابن الجزري:**

**و العاشر البزار وهو خلف إسحاق مع إدريس عنه يعرف.(2)**

- (1) معرفة القراء، ج1/ص172.
- (2) طيبة النشر في القراءات العشر،ص13.

# الفصل الثّاني

## مستويات الإنتاج الدلالي

## للقراءات.

**توطئة:**

إنّ القراءات القرآنية هي بحر يمدّه سبعة أبحر ،و علماء القراءات لم يخرجوا من هذا البحر إلاّ بقدر ما يخرج مع المخيط إذا غمس في الماء،و قد أخطأ من ظنّ منهم أنّه قد وصل إلى قمة البحث عن أسرار الإعجاز القرآني، حيث انصبّ جهدهم على تحديد القراء و وجوه القراءات و ضبطها،و لكن مع هذا العمل الجليل الذّي قاموا به و الذّي لا ينكره أحد إلاّ أنّهم أغفلوا أهم جانب و هو التعمق في البحث عن الأسرار التي يخفيها هذا التعدّد في الأداء على جميع المستويات الصوتية ،و الصرفية ،و التركيبية ،و التي بها يحدث التباين بين الأساليب دلالياً و بلاغياً و قد عاب **عبد القاهر الجرجاني**( ت 471ﻫ ) على علماء عصره هذا الإغفال حيث قال:" أو ههنا أمور أخرى نحيل في المزيّة عليها ،و نجعل الإعجاز كان بها،فتكون تلك الحوالة لنا عذراً في ترك النظر في هذه التي معنا ،و الإعراض عنها ،و قلة المبالاة بها؟ ،أو ليس هذا التهاون — إن نظر العاقل — خيانة منه لدينه و عقله،و دخولاً فيما يزري بذي الخطر،و يغض من قدر ذوي القدر؟

و هل يكون أضعف رأياً،وأبعد من حسن التدبير منك إذا همَّك أن تعرف الوجوه في(أأنذرتهم)[1] و الإمالة في (رأى القمر)[2] ،و تعرف (الصراط) [3] و (الزراط) ،و أشباه ذلك مما لا يعدو علمك فيه اللفظ،وجرس الصوت،و لا يمنعك —إن لم تعلمه بلاغة- و لا يدفعك عن بيان ،و لا يدخل عليك شكاً ،و لا يغلق دونك باب معرفة ،و لا يفضي بك إلى تحريف و تبديل،و إلى الخطأ في التأويل ،و إلى ما يعظم فيه المعاب عليك ،و يطيل لسان القادح فيك ،و لا يعنيك و لا يهمّك أن تعرف ما إذا جهلته عرّضت نفسك لكل ذلك،وحصلت فيما هناك،و كان أكثر كلامك في التفسير و حيث تخوض في التأويل كلام من لا يبني الشيء على أصله،و لا يأخذه من مأخذه ،من ربما وقع في الفاحش من الخطأ الذّي بيقى عاره ،و تشنع آثاره."(4)

إنّ هذا النقد الموضوعي الذّي يوجهه الجرجاني إلى علماء اللغة و القراءات يفسّر لنا أنّهم لحقوا الذّيل و تركوا الهدف الذّي هو الغرض الأسمى من الخوض في الإعجاز القرآني ،و هذه هي الحقيقة

---

- (1)الآية (06)،سورة البقرة،و فيها تحقيق الهمزتين،و تحقيق الثانية بين بين ،و توسيط ألف بينهما محققتين ،و توسيطهما و الثانية بين بين ،و حذف حرف الإستفهام و التقاء حركته مع الساكن قبله.
- (2) الآية (72) ،سورة الأنعام،قرأ أبو عمرو بإمالة الهمزة و قرأ غيره بكسر الراء و الهمزة ،و بكسر الراء و فتح الهمزة.
- (3) الآية (06)،سورة الفاتحة،قرئت بالصاد و قرئت بالإشمام بالسين و الزاي ،و قرئت بالصاد خالصةً.
- (4) دلائل الإعجاز،الإمام أبي بكر عبد القاهر الجرجاني،تحقيق محمود محمد شاكر،مكتبة الخانجي القاهرة،ص75.

فماذا لو عرف الباحث أنّ (ننشزُها) تقرأ أيضاً (ننشزُها) دون أن يعرف السرّ الخفي و المعنى العميق لهاتين القراءتين مستنبطاً في الوقت نفسه إعجازًا بلاغيا يليه إعجاز علمي ،فوقوفنا أمام هذه الكلمة التي تصور لنا موقفاً من المواقف و ترسم مشهداً من المشاهد يجعلنا مشدودين لا إلى المعنى القريب البسيط النابع من الوضع اللغوي ،بل إلى دلالات أخرى تستتبع الدلالة الأولى بشكل يبرز معه التكامل بين القراءات.وقد رأينا بأنّ تعدد القراءات يمكن تصنيفه إلى مستويين تنتج معها الدلالات.

**أولاً:**

**الدلالة الصوتية:**

إنّ للبنية الصوتية علاقة قوية مع الدلالة ،فوظيفة الصوت توليد المعاني عبر تسلسل صوتي خاضع لقواعد معينة كالتجاور و الارتباط و الموقع تبعاً للموقعية و النبر و التنغيم،فاللغة أصوات و الكلمة أصوات ،و نطق هذه الأصوات نطقاً صحيحاً يساعد على فهم المعنى فهماً سليماً ،و الخلط بينها يؤدي إلى خلط في المعنى،و أي تغيير في درجة الصوت سيحدث معه بالتالي تغير في المعنى، فهناك من لا يفرق بين السين و الصاد فيقول:" يسطبرون" أو "يصطبرون"،و هذا التغيّر الطفيف يحدث معه تغير في الدلالة لأنّ للصوت أثراً في تعميق الدلالة في نفس المتلقي و تصويرها،و قد أشار **الخليل بن أحمد الفراهيدي**(ت175ﻫ ) إلى علاقة الصوت بالدلالة عندما قال:"تقول العرب **صرّ الجندب صريراً و صرصر الأخطب صرصرة** ،فكأنّهم توهموا في صوت الجندب مداً و توهموا في صوت الأخطب ترجيعاً."(1)

ولو تأملنا مثلاً قوله تعالى :"فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ " (2)

وجدنا أنّ "الطاء" و "الميم" المجهورين الشديدين في كلمة "الطّامة" يعبّران على هول مشهد يوم القيامة حتّى نكاد نشعر بالأصوات و بحركة الطّم ،فناسبت شدتهما شدة و عسر ذلك اليوم،فيمكننا القول أنّ للصوت دلالة و لكنّها ليست دلالة مستقلة ،بل تعتمد على الترابط بين العناصر اللغوية و الذّي لولاه لما كان للبنية أي معنى ،أو لما تمايزت الكلمات فيما بينها ،"فالأصوات و البُنى الصوتية تسهم في تشكيل المعنى وإضفاء الطابع الإيقاعي من تردّد لصوت معيّن في موقع معيّن."(3)

---

- (1) العين،الخليل بن أحمد الفراهيدي،تحقيق مهدي المخزومي ،إبراهيم السامرائي،دار الرشيد للطباعة و النشر،ج1/ص56.
- (2) الآية (34)،سورة النازعات.
- (3) ينظر، العدول في القرآن الكريم على وفق نظرية التلقي(دراسة أسلوبية)،بثينة خضر محمد،ص 38.

و هذا ما يطلق عليه مصطلح **الأنوماتوبيا**-( **onomatopoea**) ،حيث يصوّر الصوت المعنى ويجسّده للسامع أو المتلقي.يقول الدكتور **محمد يونس علي**:"يقتصر أثر الصِّيتة من الناحية الدلالية على التمييز بين كلمات اللغة،وكذا التمييز بين المصرّفات،فهي تعدّ عنصراً مؤسساً في بناء المصرّفات و الكلمات."(1)

و هذا البناء الذّي أشار إليه يجعل الوظيفة الأصواتية في بناء الدلالة من الوظائف الرئيسية في اللغة العربية على غرار سائر اللغات،غير أنّ "**فيرث**" يجعلها من الوظائف الثانوية التي تساعد الوظائف الرئيسية الأخرى على بناء الدلالة كالوظيفة التصريفية و الوظيفة المعجمية و الوظيفة التركيبية.

**ثانياً:**

**الدلالة الصرفية:**

إنّ المستوى الصرفي يعدّ من العناصر الأساسية و المهمّة في تحديد الدلالة و تغيرها ،و من عناصر هذا المستوى المفردات أو الكلمات أو الوحدات الدالة التي تنشأ من الجمع بين الأصوات-الوحدات الغير دالة-بصورة اعتباطية مع التحفظ على هذه الكلمة،فيكون لنا وحدات لها دلالة مفردة بالوضع كما ذكر **الزمخشري** في كتابه المفصل قائلاً:"فقد يعدل من صيغة على صيغة لمعنى لغوي معيّن."(2)

فعلم الصرف يتقاطع مع علم الدلالة لأنّ في تصريف الصيغ الصرفية الأولى إلى صيغ مختلفة هو الحاجة إلى الدلالات المختلفة ضمن النظام اللغوي لتؤدي اللغة وظيفتها بشكل كامل ودقيق.

و تلعب الصيغ الصرفية دوراً كبيرا في الدلالة على معنى الكلمة ضمن نطاق سياقها يقول **الزمخشري**:"فقد يعدل من المضارع إلى الماضي للدلالة على أنّ المستقبل هو الواقع الكائن. "(3)
و ضرب مثالاً لذلك في قوله تعالى:"**أتى أمر الله فلا تستعجلوه**"أنّه قيل أتى تنزيلاً للمنتظر منزلة الآتي الواقع.

و يقول في قوله تعالى:" **يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات و الأرض**"،أنّه قال ففزع ولم

---

- (1) المعنى وظلال المعنى،أنظمة الدلالة في العربية ،محمد يونس علي،دار المدار الإسلامي،الطبعة الثانية،مارس (2007)،ص 254.
- (2) الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري،فاضل السامرائي،مطبعة الإرشاد بغداد،ص284.
- (3) المرجع نفسه،ص284.

يقل فيفزع لنكتة و إشعار بتحقق الفزع و ثبوته.

و يعدل من الفعل إلى الاسم للدلالة على الثبوت و الوصفية كما في قوله تعالى:"**لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك**"

فإن قلنا لما جاء الشرط بالفعل و الجزاء بالاسم؟، يكون الجواب أنّه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع." (1)

و يعدل من الماضي إلى المضارع لحكاية الحال و نقل القارئ إلى واقع الحدث كما في قوله تعالى:"**و يصنع الفلك**"،و الأصل أنه صنع الفلك ،و لكن القرآن عدل عنه لتحريك مشاعر القارئ اتجاه نوح عليه السلام و هو يصنع السفينة.

و قد توضع صيغة مكان صيغة لدلالة معنوية كما في قوله تعالى:"**و لو يعجل الله للناس الشرّ استعجالهم بالخير**"،فالتقدير "**تعجيله للخير**" ،و لكن عدل عن هذه الصيغة حتى يبرز سرعة الإجابة.

كما أنّ عجّل يدّل على الوقوع و استعجل يدّل على طلب التعجيل بالأمر.

و بالنظر إلى المستوى الآخر فإنّ التغير في الحركة يتبعه تغيّر في المعنى ،يبيّن لنا **الزّمخشري** ذلك من خلال قوله تعالى:"**ليقولوا دَرُست**" بضم الراء و فتحها فدرُس تدّل على المبالغة و شدّة الدراسة.

و في قوله تعالى:"**كما بعدت ثمود**" بكسر العين و ضمها ،و المعنى في البنائين يقول **الزّمخشري** واحد،و لكن لما أرادوا التميز بين بعد الخير و بعد الشر غيّروا الحركة." (2)

و يقال الضيْق و الضِيق جاء في مقدمة الأدب:"الضيْقُ ما ضاق عنه صدرك و الضيق يكون في الدار و الثوب و غيرهما." (3)

و القراءات القرآنية تعتمد في الأساس على هذه التغيرات التي تطرح جملة من المعاني.

---

- (1) ينظر:الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،للزمخشري،مطبعة مصطفى البابي،مصر،ج2/ص179.
- (2) ينظر: الكشاف،ج2/ص68.
- (3) الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري،فاضل السامرائي،ص288.

# المبحث الأول

## الوقف و الابتداء.

يعدّ موضوع الوقف و الابتداء من المسائل الصوتية التي لفتت الإنتباه نظراً لعلاقتها الواضحة بالمعنى ،سُئل **علي بن أبي طالب** عن الترتيل فقال:" الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف."(1) وروي عن **ابن عمر** رضي الله عنه أنّه قال: "لقد عشنا برهة من دهرنا ،و إن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن و تنزل السورة على النّبي صلى الله عليه و سلم فيتعلّم حلالها وحرامها و أمرها وزجرها وما ينبغي أن يوقف عنده منها."(2)

و يقول **ابن الأنباري**:"من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف و الابتداء فيه."(3)

إذاً فالوقف من الأمور المهمة التي شغلت الصحابة قبل علماء القراءات،و أكّدوا على أنّ الإجازة في القراءة لا تمنح إلاّ لمن تعلّم أصوله حيث يقول **النّكزاويّ**:"باب الوقف عظيم القدر، جليل الخطر،لأنّه لا يتأتّى لأحد معرفة معاني القرآن و لا استنباط الأدلّة الشرعية منه إلاّ بمعرفة الفواصل."(4)

**تعريف الوقف:**

**لغةً:الحبس.**(5)

قال **الجوهري**:"أوقفت عن الأمر الذّي كنت فيه ،أي أقلعت." (6)

وقد ورد في القرآن الكريم في عدّة مواضع لقوله تعالى:"وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ "(7)

**اصطلاحاً:**

"قطع الكلمة عما بعدها بسكتة طويلة."(8)،أو هو قطع الصوت بعد الكلمة زمناً يتنفس

---

- (1) النشر في القراءات العشر،ابن الجزري،ج1/ص 225.
- (3) المصدر نفسه ،ص 225.
- (4) الإتقان في علوم القرآن،الإمام جلال الدين السيوطي،ص177.
- (5) لسان العرب،ابن منظور مادة (وقف)،دار صادر،بيروت،ج6،ص4898.
- (6) الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية،الجوهري إسماعيل بن حماد،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين،بيروت،ط2(1399هـ-1979م)،ج4،ص1440.
- (7) الآية (27)،سورة الأنعام.
- (8) المعنى وظلال المعنى،محمد يونس،ص344.

فيه عادة بنيّة استئناف الكلام،و قد عرّفه **أبو الخير محمد بن الجزري**(ت833هـ) بأنّه:"قطع الصوت على الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنيّة استئناف القراءة،إماّ بما يلي الحرف الموقوف أو بما قبله."(1)

وهذا ما جسّده حين قال أنّه لا يمكن للقارئ أن يقرأ السورة أو القصّة في نفس واحد ،و لم يجز التنفّس بين الكلمتين حالة الوصل ،وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس و الاستراحة،و تعيّن ارتضاء ابتداء بعده،و يتحتّم ألاّ يكون ذلك مما يحيل المعنى و لا يخلّ بالفهم،إذ بذلك يظهر الإعجاز."(2)
وقد رُوي عن **الشعبي** أنّه قال:"إذا قرأت "**كلّ من عليها فان**" فلا تسكت حتى تقرأ:"**و يبقى وجه ربّك ذو الجلال و الإكرام**"(سورة الرحمن 26-27).

## أنواع الوقف:

اختلف العلماء في تقسيم أنواع الوقف و لكن تقسيماتهم كانت متقاربة.

**1- اضطراري**:وهو أن يقف القارئ على كلمة ليست محلاً للوقف لضرورة طارئة ألجأته لذلك كالبكاء أو ضيق في التنفس أو غيرها من الحالات،ويجوز له ذلك بشرط العودة إلى الكلمة التي وقف عليها إذا كان لها علاقة مع الكلمة التي بعدها.

**2- اختياري**: و هو الوقف الذّي يختاره القارئ بمحض إرادته و اختيارِه،و الذّي تتعلق به الأحكام و الدلالات و قد قسّمه العلماء إلى:

**أ-وقف تام**:يعرّفه **الزّركشي** بقوله:"الوقف على كلام تمّ معناه،ولم يتعلق بما بعده لا لفظاً و لا معنىً."(3)

و يعرّفه **السيوطي** بقوله:"هو الذّي لا يتعلق بشيء مما بعده."(4)

و على الأغلب نجده على رؤوس الآيات كقوله تعالى:"أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ" (5)

---

- (1) النشر في القراءات العشر ،ابن الجزري،ص227.
- (2) ينظر:المصدر نفسه، ص228.
- (3) البرهان في علوم القرآن،الزركشي،ج1/ص350.
- (4) الإتقان في علوم القرآن،الإمام جلال الدين السيوطي،ص 178.
- (5) الآية (5) ،سورة البقرة.

**ب– الوقف الكافي**:عرّفه **ابن الجزري** بقوله:"هو الوقف على كلام أفاد معنى في ذاته و يتعلق بما بعده في المعنى دون اللفظ."(1)

كالوقف على قوله تعالى:"ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ"(2) ،و الابتداء بما بعده في قوله تعالى:"أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ "(3)

**ج– الوقف الحسن** :و يعرّفه **الدّاني** بقوله:"هو الوقف على كلام أفاد معنى بذاته و يتعلق بالكلام الذّي بعده لفظاً ومعنىً."(4)

ومثل ذلك الوقف على لفظ الجلالة في قوله تعالى:"ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ"(5)

فالوقف على "**الحمد لله**" يفيد معنىً في ذاته و لكنه يتعلق بما بعده لفظاً ومعنىً ،فكلمة فاطر هي صفة للموصوف و لا يجوز فصل الصفة عن الموصوف لذلك من الأولى عدم الوقف.

**د– الوقف القبيح**:عرّفه **السيوطي** قائلاً:"هو الذي لا يفهم منه المراد."(6)

و يعرّفه **الداني** بقوله:"هو الوقف على كلام لا يعرف المراد منه،لشدة تعلقه بما بعده لفظاً ومعنىً،أو أوهم معنىً غير المراد من الآية."(7)

ومنه قوله تعالى:"لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ "(8)

فالوقف على (قالوا) و الابتداء بـ (إنّ) كفر بالله سبحانه وتعالى.

و قد جمع **ابن الجزري** أنواع الوقف في أبيات شعرية قائلاً:

**و بعد تجويدك للحروف لابد من معـــــــرفة الوقوف**

**و الابتداء وهي تقسم إذن ثلاثة تام وكافي وحـــــــسن**

---

- (1) النشر في القراءات العشر ،ابن الجزري،ج1/ ص228.
- (2) الآية (15)،سورة البقرة.
- (3) الآية (16) ،سورة البقرة.
- (4) المكتفي في الوقف و الابتداء في كتاب الله تعالى،أبو عمرو الداني،تحقيق يوسف المرعشلي، ص145.
- (5) الآية (1) ،سورة فاطر.
- (6) الإتقان في علوم القرآن،الإمام جلال الدين السيوطي،ص 179.
- (7) المكتفي في الوقف و الابتداء في كتاب الله تعالى،أبو عمرو الداني،ص 148.
- (8) الآية (17)،سورة المائدة.

**وهي لما تمّ فإن لم يوجد تعلق أو كان معنى فابتـــــدئ**

**فالتام فالكافي ولفظاً فامنعن إلاّ رؤوس الآي جوز فالحسن.** (1)

من خلال ما سبق من المفاهيم المتعلّقة بالوقف فإنّ الابتداء لا يكون إلاّ اختيارياً لأنّه مرتبط بالوقف ،و لكن قد يكون الوقف حسناً و الابتداء به قبيحاً في قوله تعالى:" يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِي "(1)

فالوقف على (**يخرجون الرسول و إيّاكم**) حسن،و لكن الابتداء بقوله (**و إيّاكم أن تؤمنوا**) قبيح لأنّ فيه تحذير من الإيمان بالله تعالى،و قد يكون العكس أي الوقف قبيح و الابتداء به حسن في قوله تعالى:"**من بعثنا من مرقدنا هذا**"،"**ما وعد الرحمن و صدق المرسلون**" و أئمة التفسير لا يجيزون ذلك لأنّ الإشارة هنا ليست متعلقة بالمرقد.

يتبيّن لنا الأثر الواضح للوقف و الابتداء في تحديد الدلالة المقصودة،و أقول المقصودة لأنّ بعض المعاني و الدلالات التي ينتجها الوقف غير مقبولة و هي ما صنّفها العلماء في خانة القبيح،أما الذّي يعنينا في هذا المبحث فهو الدلالات التي لا تخرج عن نطاق المعنى المقصود للآية ،و لا يبرز ما سميناه بالتناقض أو الاختلاف ،و لنضرب مثالاً من الواقع:

يقول القائل:1- لا تهتم بقوله ،إنّك برئ. 2- لا تهتم بقوله:إنّك برئ.

فلو وقفنا على بريء في المثال الأول لأخذنا هنا موقف الناصح للمخاطب من عدم الاهتمام بقول قيل له،و لو وقفنا على (قوله) في المثال الثاني لأخذنا موقف المطمئن للمخاطب من أنّه بريء.فقطع السلسلة النطقية " chain of utterance" ينقطع معها السياق إلى دفعات كلامية "spoken groups " ،هذه الدفعات تتظافر فيما بينها منتجة توليفة من الدلالات.

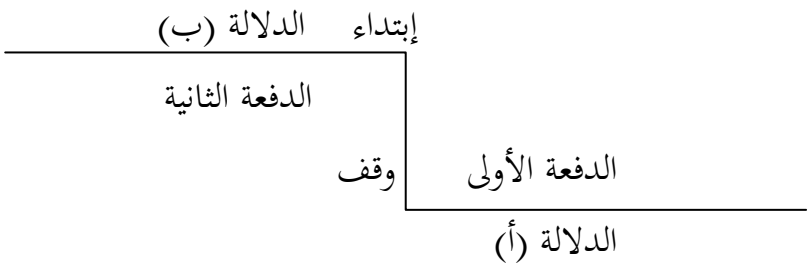


- (1) شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد ،زكريا الأنصاري،الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم،ط1،ص 89.
- (2) الآية (1) ،سورة الممتحنة.

## أثر الوقف و الابتداء في الإنتاج الدلالي( دراسة تطبيقية)

## *الأنموذج الأوّل*

**قال الله تعالى:**

"إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ "(1)

**الدفعة الأولى:**

"إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا"

**الدفعة الثانية:**

"وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ"

فالوقف على (نذيراً) كاف،وهذا لارتباط الكلام بما بعده في المعنى لا في اللفظ على أن تقرأ (تَسْأَلْ)(2) بفتح التاء و جزم اللام و هي قراءة نافع و يعقوب،و هنا إشارة إلى النّهي عن السؤال على أصحاب النّار أي :لا تسأل يا محمد عنهم فقد بلغوا من العذاب درجة عظيمةً.

و قرأ الباقون من القراء العشرة (تُسْأَلْ) و فيها وجهان:

**الوجه الأول:**

أن تقرأ بالوقف على (نذيراً) و يكون الوقف هنا كاف و التقدير"إنّا أرسلناك بالحقّ بشيراً و نذيراً و لست تُسْأَلُ عن أصحاب الجحيم" أي لا تؤاخذ بهم و لا تحاسب عليهم.

**الوجه الثاني:**

أن تقرأ على معنى يفيد الحال و التقدير:" إنا أرسلناك بالحق بشيراً و نذيراً غير مسؤول عن أصحاب الجحيم" و الكلام هنا متعلق بما قبله فيكون الوقف حسن.

ومن خلال الموازنة و التقريب بين الدفعتين الكلاميتين على محوري الوقف و الابتداء،يبرز لنا مشهد من مشاهد تطمين النّبي الذّي بخع نفسه رحمة بقومه ،فهو لم يرسل ليرغم النّاس على دخول الإسلام ،إنّما بعث لتبليغ رسالة ربّه مبرزة حرص النّبي صلى الله عليه و سلم ،كما تعلمنا الآية على أنّ الأنبياء لا يشفعون للكفار يوم القيامة و لا يسألون عنهم.

---

- (1) الآية (119)،سورة البقرة.

- (2) النشر في القراءات العشر،ابن الجزري،ج2/ص 221.

## *الأنموذج الثاني*

**قال الله تعالى:**

"وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ " (1)

عن **ابن عباس** رضي الله عنه قال:"لا يقضون منه وطراً ،يأتونه ،ثمّ يرجعون إلى أهليهم ثمّ يعودون إليه."(2)

حيث جعله الله أمناً للناس من العدّو ،فعن **ابن أنس** رضي الله عنه قال:"من دخله كان آمناً ومضموناً."(3)

**الدفعة الأولى:**

" وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا"

**الدفعة الثانية:**

"وَٱتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى"

الوقف على (أمناً) حسن لتعلقه بما بعده لفظاً ومعنى و يستلزم معه أن تقرأ (و اتَّخَذُوا)[4] على صيغة الفعل الماضي الذّي يفيد الإخبار عن قوم مؤمنين جعلوا من مقام إبراهيم مصلى و هذه قراءة نافع و ابن عامر و التقدير :"و اذكر يا محمد أنّ الناس اتخَذُوا من مقام إبراهيم مصلى."،ويكون الوقف على (أمناً) تاماً أي لم يتعلق بما بعده لا لفظاً و لا معنى إذا قرئ الفعل(و اتَّخَذُوا)، بصيغة الأمر الموجّه لمحمد صلى الله عليه وسلم و أمّته و التقدير :"اتخذْ يا محمد من مقام إبراهيم مصلى" و هذه قراءة ابن كثير وحمزة و الكسائي و أبي عمرو ويعقوب و أبي جعفر و خلف.

ومن خلال القراءتين تتجلى لنا سنة نبيّنا إبراهيم عليه السلام ،كما تبرز لنا استجابة الله لدعوته حين قال:" **ربي اجعل هذا البلد آمناً**"،و النّاس اتخذوا من مقامه مصلى إشارة إلى الأمم التي سبقت أمة نبيّنا محمد صلى الله عليه و سلم،الذّي سار على نهج أبائه و انصاع لأمر الله سبحانه وتعالى.

---

- (1) الآية (124)،سورة البقرة.
- (2) تفسر القرآن العظيم،أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير،الطبعة الجديدة،دار ابن حزم،ج1/ص300.
- (3) المصدر نفسه،ص301.
- (4) النشر في القراءات العشر،ابن الجزري،ج2/ص 221.

## *الأنموذج الثالث*

**قال الله تعالى:**

"كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ " (1)

**الدفعة الأولى:**

"كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا"

**الدفعة الثانية:**

" كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ"

الوقف على (ما) دون ما قبلها يفيد معنى التوكيد و يكون التقدير :"كانوا يهجعون قليلاً من الليل" أي أنّهم كانوا لا ينامون إلاّ قليلاً.

أما الوصل بين (ما يهجعون) على المصدر فهنا يفيد معنى آخر تقديره:"كانوا قليلاً من الليل هجوعهم" أي أنّهم كانوا يقيمون أدنى من ثلثي الليل لقول الحقّ سبحانه وتعالى:" إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ " (2)

و الجمع بين القراءتين على مستوى الوقف و الابتداء يبرز معه طائفتين من النّاس ،طائفة اتخذت الليل بطوله فضاءً للعبادة و التقرب من الله سبحانه وتعالى ، و هم اللذّين يخشون ضياع الوقت و فوات أجر قيام الليل عليهم ،و طائفة أخرى جعلت جزءً من الليل للراحة و الجزء الآخر و هو الثلث الأخير منه للقيام ،و هنا تبرز الحكمة الربانية في قوله تعالى:"۞ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُ " (3)

---

- (1) الآية (17)،سورة الذاريات.
- (2) الآية (20)،سورة المزمّل.
- (3) الآية (20)،سورة المزمّل.

## *الأنموذج الرابع*

**قال الله تعالى:**

"إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ" (1)

**الدفعة الأولى:**

"إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ"

**الدفعة الثانية:**

"وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ"

(و نُكفّرُ) بالنون والرفع،فالوقف على (خير لكم ) يكون كافياً إذا كانت القراءة بالرفع و النون والمعنى يكون: ونحن نكفّرُ عنكم،و من قرأ بالياء يكون التقدير :و هذه الصدقة تكفر عنكم،و من قرأ بالنون بالجزم جعل الكلام متصلاً لفظاً على أنّه معطوف فيكون الوقف على (لكم) حسناً.

لا تناقض بين القراءتين فكلاهما تكمّل الأخرى ،إذ أنّ القراءة الأولى تبيّن إرشاد الله لعباده ليقوموا بالأعمال الصالحة التي تقربهم إليه و تمحو سيئاتهم ،كما أنّ افيها فيها إسناد الفعل لله تعظيماً له و تكريماً لعباده ،و كأنّ الله يقول لعباده اعملوا فأعمالكم عندي لا تخشوا عليها من الضياع أو النسيان لأنّه جلّ في علاه لا تأخذه سنة و لا نوم ،و لكن جعل لتكفير السيئات سبباً و هو ما تبيّنه القراءة الثانية حيث أسند فعل تكفّر للصدقة ،و كأنّ الصدقة هي التي تمحو الذنوب بأمر الله سبحانه وتعالى و هذا من أجل تعظيم هذا العمل في نظر القارئ أو المتلقي.

---

- (1) الآية (271)،سورة البقرة.

- (2) التيسير في القراءات السبع،أبو عمرو الداني، مطبعة الدولة،الطبعة الأولى، (1349هـ-1930م)،ص72.

## *الأنموذج الخامس*

**قال الله تعالى:**

"فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ "(1)

**الدفعة الأولى:**

"فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ "

**الدفعة الثانية:**

"وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ"

يكون الوقف حسناً على (وضعتها أنثى) لمن قرأ بضم التاء و إسكان العين (وضعْتُ)[2] وهي قراءة ابن عامر و شعبة ويعقوب، على جعل الكلام كلّه لمريم ابنة عمران ،و هذا يفيد معنى أنّها تعظّم الله سبحانه وتعالى بعلمه الواسع مدركةً أنّه لا يخفى عليه شيء في الأرض و لا في السماء لقوله تعالى:"إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ " (3)

و يكون الوقف كافياً لمن قرأ بفتح العين و إسكان التاء (وضعَتْ)[4] ،و هي قراءة ابن كثير و أبو عمرو وحمزة و الكسائي و خلف و حفص و أبو جعفر،على أنّ الكلام منقطع عما قبله فهو إخبار من الله تعالى بما حدث.

---

- (1) الآية (36)،سورة البقرة.
- (2) النشر في القراءات العشر ،ابن الجزري، ج2/ص 239.
- (3) الآية (47)،سورة فصّلت.
- (4) التيسير في القراءات السبع،أبو عمرو الداني،ص87.

## *الأنموذج السادس*

**قال الله تعالى:**

"يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ " (1)

**الدفعة الأولى:**

"يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗا"

**الدفعة الثانية:**

"وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ"

يكون الوقف على (وريشاً) كافياً لمن قرأ بالرفع (و لباسُ)[2] و هي قراءة ابن كثير و أبو عمرو و حمزة و خلف و عاصم و يعقوب،على أنّ (لباسُ) مرفوع بالابتداء و التقوى هي صفة له ،و (خير) خبر ويكون المعنى إشارة إلى أنّ التقوى هي اللباس الذّي يستر المؤمن لا لباس الريش تبياناً لقيمة التقوى و تعظيماً لشأنها لقوله تعالى:"**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**"(3)

و أمّا من قرأ بالنصب (و لباسَ)[4] ،فيكون وقوفه على (ذلك خير) كافياً ،و هي قراءة نافع و ابن عامر و الكسائي و أبو جعفر،و يكون تقدير الكلام:و أنزلنا لباسَ التقوى ،و هنا يفيد المنّ من الله سبحانه و تعالى على عباده بأن ستر عوراتهم ستراً حسياً و ستراً معنوياً فمن يتقي الله سبحانه فقد ستر نفسه في الدنيا و الآخرة.

---

- (1) الآية (26) ،سورة الأعراف.
- (2)التيسير في القراءات السبع ،أبو عمرو الداني،ص 109.
- (3)الآية (12-10)،سورة الحجرات.
- (4) النشر في القراءات العشر،ابن الجزري،ص 268.

## *الأنموذج السابع*

**قال الله تعالى:**

" وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ "(1)

**الدفعة الأولى:**

"وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ"

**الدفعة الثانية:**

" وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ"

من القراء من عطف (النهارَ والشمسَ و القمرَ و النجومَ) على (الليلَ) ،فجعل قراءته على النّصب (و النجومَ مسخراتٍ) و هي قراءة نافع و ابن كثير و شعبة عن عاصم و خلف و أبو عمرو و حمزة و الكسائي و أبو جعفر ،و هنا يكون الكلام كلّه متعلقاً بما قبله و ما بعده و يفيد معنى تعداد النّعم من الله سبحانه وتعالى.

ومن القراء من قرأ بالرفع (و النجومُ مسخراتٌ) على الابتداء و الخبر ،و هي قراءة حفص ،فأفادت معنى الفصل بين (الليل و النهار و الشمس و القمر) و بين (النجوم)،فيظهر معنى جليل جلالة القرآن فعقل الإنسان غالباً ما يتعلق في ذهنه أنّ الشمس رمز النهار ،و أنّ القمر رمز الليل ،و أما النجوم فهي من الآيات العظيمة التي قد لا يدرك عظمتها إلاّ من يعقل فهي تبعد عناّ ملايين السنين الضوئية ونحن لا نراها و لكننا نرى نورها فقط،ففصلها عما قبلها لزيادة عظمتها و لفت انتباه القارئ إلى هذه الآية الجليلة و هنا الوقف تام.

و قرأ ابن عامر بالرفع (و الشمسُ و القمرُ و النجومُ مسخراتٍ) ،فوقف وقوفاً تاماً أيضاً على(و سخر لكم الليلَ و النهارَ) ،و هنا تأكيد من الله سبحانه وتعالى على أنّه لا أحد يتحكم في هذه النجوم و الكواكب إلاّ هو،و هذا دحض لنظرية الفوضى التي تقول بأنّ الكون لا تحكمه أيُّ قوانين و أنّه يتحرك تحركاً عشوائياً إلى ما لا نهاية كما تحاول بعض النظريات الترويج له تحت غطاء التطور التكنولوجي .

---

- (1) الآية(12)،سورة النحل.

## *الأنموذج الثامن*

**قال الله تعالى:**

كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ " (1)

**الدفعة الأولى:**

كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ.

**الدفعة الثانية:**

نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ.

تصف هذه الآيات نار جهنّم و ما أعده الله سبحانه و تعالى للذين كفروا و نسوا ما ذكّروا به،و تأتي الدفعة الصوتية الأولى لتحرّك و تزلزل قلب الإنسان الخاشع مصوّرة حركة النّار و هي تتأجج يقول **ابن كثير**:"إنّها لظى" يصف النّار و شدة حرّها."(2)

و تأتي الدفعة الكلامية الثانية لتبيّن أثر حرّها على جلد الإنسان ،و قد صوّرها الله سبحانه وتعالى كأنّها إنسان يحمل في يده سكيناً يسلخ بها جلود أصحاب النّار.

و تعدّدت القراءات في هذه الآية ،فقرأ نافع و أبو عمرو و ابن عامر و شعبة عن عاصم ،و حمزة و الكسائي و أبو جعفر و يعقوب وخلف برفع التاء (نزاعةٌ) على أنّها خبر لمبتدأ محذوف تقديره:هي نزاعةٌ،أو بدل من لظى،و قرأ حفص بنصب التاء(نزاعةً) على أنها منصوبة بفعل محذوف تقديره أعني،أو أنّها حال من لظى و التقدير:تتلظى في هذه الحالة.(3)

و الوقف على (لظى) في قراءة الرفع كافٍ إن جعلت خبر لمبتدأ،أمّا إن جعلت بدلاً فالوقف عليها حسن،أمّا في قراءة النصب فإن جعلت منصوبة بفعل محذوف فالوقف على لظى أيضاً كافٍ،و إن نصبت على الحال فالوقف عليها حسن.(4)

---

- (1) الآية (15-16)،سورة المعارج.

- (2) تفسير القرآن العظيم،أبي الفداء إسماعيل ابن كثير،دار ابن حزم،ج4/ص 2965.

- (3) ينظر:اللباب في علوم الكتاب،عمر بن علي الدمشقي ،تحقيق عادل عبد الموجود و علي معوض،ط1،دار الكتب العلمية بيروت،ج19/ص362.

- (4) ينظر:المكتفي في الوقف و الابتداء،أبو عمرو الداني،تحقيق يوسف المرعشلي،مطبعة الرسالة،بيروت،ص576.

و الجمع بين القراءتين يبرز حركية في وصف النار ،فحالها كما سبق و أشرنا حال إنسان قوي شديد يستشيط غضباً ،و قراءة النصب يتعلق الكلام فيها بوصف النّار فقط دون الإشارة إلى المعذّبين بها،أما قراءة الرفع ففيها إشارة إليهم فهي تنزع جلودهم نزعاً،و هذا التصوير الذّي يعطي صورة ثلاثية الأبعاد للقارئ ،لذلك نجد أنفسنا عند قراءتها نشاهد النّار و نراها على منوال ما اعتادت عقولنا.

## *الأنموذج التاسع*

**قال الله تعالى:**

"رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابًا " (1)

**الدفعة الأولى:**

"رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا"

**الدفعة الثانية:**

ٱلرَّحۡمَٰنِ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابًا"

قرأ نافع و ابن كثير و أبو عمرو برفع الباء (ربُ) و (الرحمنُ)،على أنّهما خبران لمبتدأ محذوف بتقدير:هو رب،و هو الرحمنُ لذلك فالوقف على (ما بينها) كافٍ،و قرأ ابن عامر وعاصم بالخفض هكذا (ربِّ) و (الرحمنِ)،على أنّهما بدل كلّ من كلّ من (ربّك)،وهنا لا يوقف على (ما بينهما) لتعلقه بما قبله لفظاً و معنى ،و قرأ حمزة و الكسائي بخفض الباء من (ربِ) و رفع النون من (الرحمنُ) على أنّ (رب) بدل من ربّك،و الرحمن خبر لمبتدأ محذوف تقديره :هو الرحمن (2)،و على هذا فالوقف على (ما بينهما ) كافٍ. (3)

و الوقف الأول فيه إشارة من الله سبحانه وتعالى إلى كمال ربوبيته ،فلا أحد على مرّ العصور و الأزمان تجرّأ ليقول أنّني خلقت السموات و الأرض ،و لكن هناك من تسلط ليجعل نفسه إلهاً في الأرض ،فجاء الوقف الثاني ليقول أنّ من خلق السماء و الأرض خلق ما بينهما و هو من يستحق الربوبية فيهما،ليتجلى علينا بصفة الرحمن.

---

- (1) الآية (37)،سورة النبأ.
- (2) ينظر:الموضح في وجوه القراءات و عللها،ابن أبي مريم نصر بن علي الشيرازي ،تحقيق عمر حمدان،ط1،ج1334/3.
- (3) ينظر:المكتفي في الوقف و الابتداء،أبو عمرو الداني،ص 4-6.

## *الأنموذج العاشر*

**قال الله تعالى:**

"تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ" (1)

هذه السورة الكريمة من السور الغيبية التي تحمل في طياتها كلّ أنواع الإعجاز القرآني،فهي وعيد من الله سبحانه وتعالى لشخصية من الشخصيات التي عايشت النّبي صلى الله عليه و سلم و عادته،حيث كان أبو لهب من أشد النّاس كرهًا و حقداً على النّبي صلى الله عليه و سلم و قد شاركه في عمله هذا زوجه التي وصفها القرآن بحمالة الحطب.

و قد تعدّدت القراءات في الوقف فنتج معها عدّة دلالات تُبين على الغزارة التي تحملها الكلمات القرآنية.

فقرأ ابن كثير وحمزة و الكسائي و أبو عمرو برفع التاء:"حمالةُ الحطب"،و قرؤوا "امرأته" بتقديران:بالرفع على الابتداء "و امرأتُهُ" ،و يكون ما بعدها خبراً،و هنا وجب قطع الصوت لأنّ الوقف على "أبي لهب" كافٍ و يكون التقدير،الوعيد لأبي لهب بنار جهنّم و الإنكار لزوجه و وعيدها بأنّه سيصبح ذلك الحبل الذّي كانت تجمع به الحطب حبلاً من النّار يُلف حول عنقها.

و القراءة الثانية "و امرأَتَه"، فيصبح الوقف على "لهب" غير كافٍ لأنّه متعلق بما بعده ،و ينتج عنه دلالة أخرى و هي أنّ حمالة الحطب تصبح نعتاً،و يكون التقدير سيصلى هو و امرأته ناراً ذات لهبٍ.

---

- (1) سورة المسد.

# المبحث الثّاني

## الإبدال في الحروف

*الأنموذج الأول*

**قال الله تعالى:**

أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ" (1)

تقصُّ الآية الكريمة قصّة رجل من بني إسرائيل مرّ على قرية و هي خاوية على عروشها، فتساءل في نفسه عن كيفية إحياء الله لها، من خلال قوله " أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا " و كلمة موتها تدّل على أنّها لم تكن تحوي أدنى معطيات الحياة،كما أنّ هذا الاستفهام يحمل في طياته معنى التعجب لا الإنكار ،فقد تساءل نبيّنا إبراهيم عليه الصلاة و السلام نفس التساؤل حين قال:" وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"(2)

و السؤال عن الكيفية ليست ضعفاً في الإيمان ،و إنّما هو الإيمان الصادق الذّي يطمئن معه القلب و علّم الله سبحانه وتعالى كليهما كلّ حسب الموقف الذّي كان فيه ،فأمات الله الرجل مائة عام ثمّ بعثه،و جعله يشاهد بعينيه عملية الخلق لقوله تعالى:" وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا"

و وقع التعدّد في قراءة (**ننشزها**)،فقرأ ابن كثير و أبو عمرو و **نافع** (**نُنشِرها**)،و قرأ الباقون (**نُنشِزُها**).(3)

---

- (1) الآية (259)،سورة البقرة.
- (2) الآية (260)،سورة البقرة.
- (3) ينظر ،النشر في القراءات العشر،ابن الجزري،ج231/2.

و **النشر**:معناه الإحياء لقوله تعالى:"ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ "(1)

و النشر في العظام بمعنى إحياء العظام ،فقد ورد في القرآن الكريم لقوله تعالى:"وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ "(2)

و كثيرة هي التساؤلات التي طرحت حول كيفية الخلق،فجاءت هذه القراءة لتبيّن على وجه الإجمال كيفيتها دون إظهار مراحلها يقول **الزّجاج**:"من قرأ ننشرها، فهو من أنشر الله الموتى،أي بعثهم."(3)

و يقول **الفرّاء**:"ذهب إلى النشر بعد الطيّ."(4)

و قد شرح **الرّازي** قول **الفرّاء** حين قال:"وذلك انّه بالحياة يكون الانبساط."(5)

أمّا القراءة الثانية (ننشزها) من النشز.

**و النشز:الارتفاع** لقوله تعالى:"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" (6)

ولكن ما علاقة إحياء العظام برفعها ؟

يقول **ابن عطية** :"و يقلق عندي أن يكون النشوز رفع العظام بعضها فوق بعض." (7)

من خلال التقريب الذي بيّنه **ابن عطية** تتضح الصورة أكثر و تظهر العملية التركيبية للعظام قبل عملية الإحياء لذلك اتبعها الله بقوله تعالى:"ثمّ نكسوها لحماً" ،فيكون التصوير الحسي الذّي يحوّل الكلمة إلى شاشة عرض ثلاثية الأبعاد،و يمكن عرض المراحل كالآتي:

- مرحلة تحريك العظام.
- مرحلة الرفع و التركيب.

---

- (1) الآية (22)،سورة عبس.
- (2) الآية (78)،سورة يس.
- (3) معاني القرآن للزجاج،تحقيق عبد الجليل شلبي،عالم الكتب بيروت،ج1/ص344.
- (4) معاني القرآن للفراء،تحقيق أحمد يوسف نجاتي،دار السرور بيروت،ج1/ص173.
- (5) التفسير الكبير ،فخر الدين الرازي،دار الإحياء ،بيروت،ج36/4.
- (6) الآية (11)،سورة المجادلة.
- (7) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،لابن عطية،تحقيق المجلس العلمي،مكتبة ابن تيمية ،القاهرة،ج2ص298

- مرحلة تكوين اللحم و الأعصاب.
- مرحلة الإحياء الكامل.

لله درّ لفظة واحدة تصنع العجب ،فالقراءتان ليستا مختلفتين بل متكاملتان تكاملاً يجعلنا نقف أمام عظمة القرآن الكريم و عظمة خالقه سبحانه وتعالى،و لو أدرك علماء القراءات حقيقة القراءات ذاتها لما انصرفوا إلى البحث عن القراء و لا تصنيف القراءات بل كانوا ليشتغلوا بما أرادهم الجرجاني أن يشتغلوا به.

و لو تساءلنا لماذا احتوى القرآن على الكثير من الآيات التي تتكلم عن الخلق ،لكان الجواب أنّ أغلبية الكفار و الملحدين أنكروا إعادة الإحياء و البعث من جديد،فنجدهم خاصة في عصرنا يدفعون أموالاً طائلة إلى شركات تعمل على حفظ أجسادهم في ثلاجات ضخمة بعد إفراغها من السوائل ،و هذا العمل مردّه زعمهم أنّ أرواحهم سترجع إلى هذه الأجساد من تلقاء نفسها و أنّ الحياة هي عملية بيولوجية تخضع لقوانين الطبيعة فقط.

## *الأنموذج الثاني*

**قال الله تعالى:**

"أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ " (1)

سورة المائدة في مجملها خطاب لليهود والنصارى ،أمّا بالنسبة لهذه الآية الكريمة فإنّها موجّهة لليهود خاصة اللذّين كانوا يتحاكمون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ،و لكنّهم لم يكونوا يرضون بحكمه لقوله تعالى:"وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ " (2)

رغم أنّهم يعلمون أنّه الحقّ من ربّهم و لكن البغض و الكراهية تمنعهم من الرضوخ لحكم النّبي صلى الله عليه و سلم و الذّي هو حكم الله لقوله تعالى:"وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ " (3)

أمّا بالنسبة لهذه الآية فهي خطاب إنكاري من الله سبحانه وتعالى إلى هؤلاء الذّين لا يرضون بحكمه وتعدّدت القراءة في كلمة (**يبغون**)،فقرأ ابن عامر بالتاء(**تبغون**) و قرأ الباقون بالياء (**يبغون**).

و تحليل القراءة الأولى يوجه الناظر إلى أسلوب بلاغي عظيم و هو **الالتفات** يقول **العلوي**:"الالتفات من أجلّ علوم البلاغة،فهو أمير جنودها..."(4)

و سياق الآية يظهر من خلاله أنّ الكلام موجّه للغائب ،و فجأة تتغير وجهة السهام الكلامية للمخاطب بأسلوب الاستفهام الإنكاري ،يقول **السمين الحلبي**:"الالتفات أبلغ في زجرهم و ردعهم،ومباكتته لهم،إذ واجههم بهذا الاستفهام الذّي يأنف منه ذوو البصائر."(5)

فبعد الاستفهام يأتي المفعول به "حكم الجاهلية"،لأنّه المخصوص بالكلام و الجاهلية هنا هي وصف

---

- (1) الآية (59)،سورة المائدة.
- (2) الآية (120)،سورة البقرة.
- (3) الآية (109) ،سورة البقرة.
- (4) الطراز للعلوي،دار الكتب العلمية،بيروت،ج2/ص131.
- (5) الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون،السمين الحلبي،تحقيق أحمد محمد الخراط،دار القلم ،دمشق،ج2/ص131.

لهم لا للحكم فقط لأنّهم مازالوا يعيشون في الضلال الذّي ميّز الجاهلية ،و قد أضاف الالتفات طرقة قويّة تهزّ القلوب و النفوس الضالة قبل المؤمنة ،فتحسّ عند تغير الوجهة كأنّك كنت تسير في طريق ثمّ انحرفت به إلى وجهة ثانية ،و هذا الانحراف قد يكون له علاقة بانحراف اليهود عن الطريق و الحقّ الذّي أمرهم به الله سبحانه وتعالى كما أنّنا نستحضر الموقف الذّي كان فيه اليهود ،فنتصور حضورهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يحكم بينهم،و يتلو عليهم هذه الآيات بأسلوب الغائب ثمّ ينحدر بهم و يخاطبهم وكأنّهم أخذوا صفعةً على وجوههم.

أمّا القراءة الثانية (**يبغون**) فجاءت على منوال السياق بأسلوب الغائب و هنا يكون المخاطب هو محمد صلى الله عليه وسلم و هذا الخطاب ليس خطاب لوم،و إنّما هو خطاب رحمة و عطف عليه حيث كان يرهق نفسه بالحسرة عليهم لقوله تعالى:"فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا " (1)

و هذه القراءة تكمّل الصورة و توضحها أكثر،فالقراءة الأولى كما قلنا تصوّر حضور اليهود في مجلس النبيّ ،أما الثانية فتصوّر انصرافهم عن المجلس فصاروا بمثابة الغائب ،وإذا ما ربطنا بين الصورتين فالناتج حركي.

---

- (1) الآية (6)،سورة الكهف.

***الأنموذج الثالث***

**قال الله تعالى:**

"۞ لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ " (1)

عن ابن عباس رضي الله عنه أنّه قال أنّ هذه الآيات نزلت فيمن آمن من الأحبار ،**كعبد الله بن سلام** و **أسد بن عبيد** ،و **ثعلبة بن سعيد** و غيرهم ،أي لا يستوي من تقدّم ذكرهم بالذّم من أهل الكتاب و هؤلاء اللذّين أسلموا. (2)

و هذه الآية بمثابة مدح للذين آمنوا،و تثبيت لهم و قد تعددت القراءات في (يفعلوا)،و (يكفروه).

فقرأ ابن عامر و ابن كثير ،و أبو بكر عن عاصم و أبو عمرو و نافع بالتاء (تفعلوا)،(تكفروه)

و قرأ الباقون بالياء (يفعلوا)،(يكفروه).

نجد في القراءة الأولى (بالتاء) التفاتاً أيضاً ،فسياق الآية على أسلوب الغائب ثمّ ينتقل بنا إلى المخاطب يقول **أبو حيان**:"و الذيّ يظهر أنّها التفات إلى قوله تعالى:"أمّة قائمة"،لما وصفهم بأوصاف جليلة أقبل عليهم تأنيساً لهم ،و استعطافاً عليهم ،فخاطبهم بأنّ ما تفعلون من الخير فلا تمنعون ثوابه ،و لذلك اقتصر على قوله :"من خيرٍ"،لأنّه موضع عطف عليهم ،و لم يتعرض لذكر الشرّ. "(3)

هذا ما يظهر من سياق الآية و لكن لو تدبرنا قليلاً لوجدنا في الالتفات تحريكاً لمشاعر الصحابة من أجل المسارعة في فعل الخيرات ،فلو سمع أحدٌ ما هذا الخطاب فإنّ نفسه سترتقي محاولةً تجسيد الوصف الأول ،فأي إنسان إذا بدأت بوصفه مادحاً إياه فإنّه سيصغي لأي أمر تطلب منه أن ينفذه. أمّا القراءة الثانية فجاءت مشاكلةً لأسلوب الآية لكنّها تحمل معنى مكملاً للقراءة الأولى،فالآية نزلت

---

- (1) الآيات (113-114-115)،سورة آل عمران.
- (2)ينظر، تفسير القرآن العظيم،أبي الفداء إسماعيل ابن كثير،دار ابن حزم،ج1/ص 604.
- (3) البحر المحيط،لأبي حيان ،مكتبة النصر الحديثة ،الرياض،ج3/ص36.

مخاطبةً لكلّ النّاس حضوراً كانوا أم غائبين ،و خطاب الغائب هو دعوة لمن لم يدخلوا الإسلام بعد.
إذاً فالنّص القرآني من خلال هاتين القراءتين ينقل رسالة إلى النبي صلى الله عليه و سلم ليبلّغها للناس أجمعين .

## *الأنموذج الرابع*

**قال الله تعالى:**

قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ " (1)

قرأ ابن كثير ونافع وعاصم:" يقصُّ الحقَّ" بالصاد.

و قرأ أبو عمرو و حمزة و الكسائي و ابن عامر:" يقض الحقّ" بالضاد ،و كانت حجتهم فيها أنّ قراءة ابن مسعود :"يقضِ بالحقِّ"(2)

و استدلّ أبو عمرو على قراءته بقوله تعالى:"و هو خير الفاصلين" قائلاً إنّ الفصل في القضاء لا في القصص ،و استدلوا بقوله تعالى:"وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ" (3)

و حجة من قرأ بالقصّ قوله تعالى:"إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ " (4)

و مقصودهم أنّه جاء الفصل في القول لقوله تعالى:"إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ" (5)

إنّ الظاهر يوحي بأنّ قراءة (يقض) هي المناسبة لسياق الآية لأنّ الفصل لا يكون إلاّ في القضاء كما أنّها على نمط المشاكلة و التناسب الذّي يعطي ذوقاً يشدُّ أذن السامع و لسان القارئ ،و نحن بهذا لا نفضّل قراءة على قراءة لأنّ المعنى الذّي توحي به قراءة (يقصُّ) غاية في الجمال و البلاغة ،كيف؟

الآية الكريمة تتحدث على حكم الله ،و القصّ بمعنى التتبع لقوله تعالى:"قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا " (6)

---

- (1) الآية (57)،سورة الأنعام.
- (2) الحجة في علل القراءات السبع،أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي النحوي،تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود،دار الكتب العلمية1971، ج2/ص481.
- (3) الآية (20)،سورة ،غافر.
- (4) الآية (62)،سورة آل عمران.
- (5) الآية (13)،سورة الطارق.
- (6) الآية (64)،سورة الكهف.

أي أنّ نبيّنا موسى عليه السلام لما أراد الوصول إلى الرجل الصالح تتبع الأثر و غايته إيجاد الحقيقة التي تعلّمه أنّه مهما أوتي من العلم فهناك من هو أعلم منه،و هذا هو الحقّ الذي أراده الله سبحانه وتعالى كما أنّه من معاني (القصّ) القطع،فاللّه إذا حكم بين النّاس فلا معقّب لحكمه لأنّه قطع الجدال فيه.

و لو أردنا تقريب المعنى بمثال من الواقع ،نقول أنّ القاضي –و لله المثل الأعلى– إذا أراد أن يقضي بين النّاس فإنّه لا يصدر أحكاما هكذا عبثاً و إنّما عليه أن يتتبع الأدّلة للوصول إلى الحقائق،فإذا وصل إليها فهنا يأتي الحكم و القضاء.

إذاً فالآية الكريمة تصوّر مراحل إصدار الحكم،و الله عالم الغيب و الشهادة يعلم الحقّ و يعلّمه ولا يحتاج إلى تتبع للأدّلة و لكن المقصود هو أنّه يري النّاس بالأدّلة أنّ هذا هو الحقّ و لا داعي للجدال فيه لأنّ الإنسان لا يؤمن إلاّ بما هو ملموس و عقلي مثبت بالأدلة،فحين قال الرسول صلى الله عليه وسلم:"**قل إنّي على بيّنة من ربي**" ،فهو هنا يقرُّ بأنّه علم الحقيقة ممن يقصُّ الحقّ و يقضي به بين النّاس.

## *الأنموذج الخامس*

**قال الله تعالى:**

هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ " (1)

قرأ ابن عامر:"هو الذّي ينشُرُكم" بالنون و الشين.

و قرأ الباقون:"هو الذّي يُسيِّركم" بالسين و ضم الياء.(2)

و حجة ابن عامر هي قوله تعالى:"يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا "(3)

و قوله تعالى:"وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ "(4)

و البثُّ تفريق و نشر. (5)

و أمّا حجّة من قرأ (يُسيِّركم) فهي قول الشاعر:

**لسيّان حرب أن تبوءوا بخزيةٍ و قد يقبل الضّيم الذّليل المسيّرُ .** (6)

و كذلك استدلوا بقوله تعالى:"فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ " (7)

---

- (1) الآية (22)،سورة يونس.
- (2) الحجة في علل القراءات السبع،أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي،ج3/ص 184.
- (3) الآية (1)،سورة النساء.
- (4) الآية (29)،سورة الشورى.
- (5) ينظر، الحجة في علل القراءات السبع،ج3/ص 185.
- (6) البيت لزهير بن أبي سلمة ،الأشباه و النظائر ج2/ص399.
- (7) الآية (10)،سورة الجمعة.

و لكن هذه الآية تدعم قراءة ابن عامر أكثر.

قال العلماء[1]:يسيّركم فيها ،أي يجعلكم تسيرون فيها،و يحملكم على السير ،و يمكنكم منه لقوله: "قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ " (2)

من خلال هذه القراءة (يُسيّركم) تتجلى لنا قدرة الله سبحانه و تعالى ،فالسير في الأرض هو المضيّ فيها ،و هذا السير إنّما هو بقدرته لأنّه أولاً جعل لنا الأرض سهلة لقوله:"وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا " (3)

وجعل لنا فيها سُبلاً لقوله تعالى:"لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا " (4)

و السير لا يكون من غير هدى خاصةً في البحر كما أنّ هذه الفلك لا تسير من تلقاء نفسها بل بقدرة الله الذّي جعل لنا الرياح محرّكاً لها،و جعل لنا علامات نهتدي بها لقوله تعالى:"**و بالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**" ،و قوله تعالى:"أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ " (5)،و هذا التسهيل كلّه من رحمة الله سبحانه و تعالى و تسيره لنا.

و أمّا عن قراءة (ينشركم ) ،فهي تبرز أنّ الإنسان من طبيعته أن يسافر و يتنقل بين البلدان طلباً للعلم أو الرزق ،و الله قدر لكلّ إنسان ذلك.

و إذا أردنا الموازنة بين القراءتين تبيّن لنا ذلك التكامل الذّي تتجلى من خلاله قدرة الله سبحانه و تعالى ،فهو يسيرنا في الأرض و هذا السير ينتج عنه النشر و التفريق و البثّ ،فيظهر من خلال الكلمات حركية النّاس على الأرض و سعيهم لقضاء حوائجهم التي تتناغم فيما بينها منتجة بحراً من الدلالات و لا نجد ذلك إلاّ في كتاب الله سبحانه وتعالى.

---

- (1) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة،أحمد بن محمد الخراط،مجمع الملك فهد للطباعة و النشر،ص77.
- (2) الآية (11)،سورة الأنعام.
- (3) الآية (19)،سورة نوح.
- (4) الآية (20)،سورة نوح.
- (5) الآية (63) ،سورة النمل.

## * الأنموذج السادس*

**قال الله تعالى:**

"هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ " (1)

بدأ الله سبحانه وتعالى بالإشارة إلى مكان الحساب بالثواب أو العقاب و تعددت القراءة في كلمة(تبلوا) ،فقرأ حمزة و الكسائي (تتلو) ،و قرأ الباقون (تبلوا).

أما عن قراءة (تتلو) فجاءت بمعنى تتبع لقول الشاعر:

**إنّ المريب يتبع المريب كما رأيت الذّيب يتلو الذّيب.(2)**

و التلاوة بمعنى تتابع الكلمات وفق نسق مضبوط و تعني القراءة ،فكل نفس مقيّدة يوم القيامة بكتاب تقرأه لقوله تعالى:"فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ "(3)

و قوله تعالى:"يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً "(4)

فهي تقرأ ما كتبته الملائكة من أعمال حسنة كانت أو سيّئة ،فهذا الكتاب لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها و وجدت ما عملت النفس حاضراً و هذا المعنى على التلاوة بمعنى القراءة.

أما إذا قلنا تتلو بمعنى تتبع فهنا تصوير حيّ و تجسيد للعمل الذّي قامت به النفس على أنّه إنسان في هيئة قائد يجرّها فإن كان خيراً فهي إلى الجنّة تسير و إن كان شراً فهي إلى النار تجرُّ أقدامها متثاقلة.

و أما القراءة الثانية(تبلوا) فمعناها من الإختبار لقوله تعالى:"ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ " (5)

---

- (1) الآية (30)،سورة يونس.
- (2) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة،أحمد بن محمد الخراط،ص76.
- (3) الآية (19)،سورة الحاقة.
- (4) الآية (71)،سورة الإسراء.
- (5) الآية(2)،سورة الملك.

و يقول **الزمخشري**:"كما يختبر الرجل الشيء و يتعرّفه،ليكتنه حالته."(1)

و لكن هل هذا الوقت مناسب للنفس لتختبر الأشياء و تتعرف حقيقتها؟

إنّ الإنسان في هذا الموقف يرى بعين اليقين لا بالبصر الدنيوي لقوله تعالى:"ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ " (2)

فهو في حالة من اليقظة و الانتباه يتفحص ذلك السّجل صفحة صفحة ،و سطراً سطراً لأنّ الموقف موقف تحديد مصير ،فهو يختبر عن عمله الذّي عمله في الدنيا و هل كلّ الأعمال مسجلّة ومن كثرة تقليبه يكاد يبليه.

و لو جمعنا بين الصورتين لتجلّت لنا حقيقة ذلك الموقف و شدّته على النّاس و كأنّنا نشاهد عبر شاشة ثلاثية الأبعاد تلك الصورة للإنسان و هو مشفقٌ على نفسه يقوده عمله إلى مصيره.

---

- (1) الكشاف ،للزمخشري،دار الريان،القاهرة،الطبعة الثالثة،ج2/ص344.
- (2) الآية (7)،سورة التكاثر.

## *الأنموذج السابع*

**قال الله تعالى:**

"إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ "(1)

قرأ ابن كثير (**و لا يَسْمَعُ الصُّمُ**) ،وقرأ الباقون(**و لا تُسْمِعُ الصُّمَّ**).

في قراءة ابن كثير يبرز لون بلاغي مصوّر ،حيث شبّه الله الكفار بالصُّم ،فكما أنّ الأصّمّ لا يسمع الكلام ،فكذلك الكفار،ومن كثرة إعراضهم عن رسول الله صلى الله عليه كانوا يجعلون أصابعهم في أذانهم لقوله تعالى:"صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ " (2)

فصار سمعهم الآن حاسة لا ينتفع بها و الذّي لا ينتفع بسمعه هو الأصّم.

و كذلك احتوت هذه القراءة لوناً بلاغياً راقياً و هو الالتفات حيث كان يجري الكلام على منوال الخطاب لينتقل بنا إلى الغائب و يجعل التشبيه ضمني تاركاً للقارئ تحديد أركانه محدثاً في ذهنه صورة حسيّة لهؤلاء البشر ،كما أنّه يحمل في طياته التقريع للكفار و الذّم لهم.

أمّا في القراءة الثانية فكان التناسب و المشاكلة على منوال الخطاب لرسول الله صلى الله عليه و سلم،و هو تسلية له،فكما أنّك يا محمد لا تستطيع أن تسمع الموتى فإنّك لا تستطيع إسماع هؤلاء المعرضين عن دعوتك ،فحرص الرسول صلى الله عليه وسلم على إبلاغ كلّ النّاس جعله يرهق نفسه فوق طاقتها،فجاءت هذه الآية لتخفّف عنه العبء الثقيل ،و في نفس الوقت هي تصوّر الحالة النفسية لهؤلاء الكفار حيث صارت قلوبهم كالصخر لقوله تعالى:"ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً " (3)

فهم قد فقدوا الشعور و صاروا كالموتى في القبور لا يصلهم النداء.

و الجمع بين القراءتين و الموازنة بينهما يفيد وجود دلالة ثالثة و هو أنّ الأصّم ،و الميّت ،و الكافر لا يفيدون و لا يستفيدون من نعمة السمع ،لأنّهم انقطعوا عن العالم الخارجي.

---

- (1) الآية (80)،سورة النمل.
- (2) الآية (18-19)،سورة البقرة.
- (3) الآية (74)،سورة البقرة.

## * الأنموذج الثامن*

**قال الله تعالى:**

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ " (1)

تصّف هذه الآية الكريمة حال أهل الجنّة و هم يسكنون غرفها،و قد تعددت القراءة في كلمة ( لنُبَوِئَنَّهم) ،فقرأ حمزة و الكسائي بالثاء و الياء (لنُثْوِيَنَهُمْ)،و قرأ الباقون بالباء و الهمزة.

و القراءة الأولى مشتقة من الفعل ثوى ،يقول الحقُّ سبحانه وتعالى:"وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ " (2)

و قال أيضاً:"وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ " (3)

**فالثواء** من خلال الآيتين يعني الإقامة و الاستقرار،جاء في **لسان العرب**:"الثواء :طول المقام،و أثويت به أطلت الإقامة به."(4)

أمّا القراءة الثانية فهي مشتقة من الفعل (بوَّأ) جاء في **لسان العرب**:"بوّأ إنساناً منزلاً،أي أنزله و بوّأ المنزل له:أي أعدّه،و التبوُّء :أن يُعلم الرجل الرجل عن مكان أعجبه لينزله ،و تبوّأه أصلحه و هيَّئه."(5)

و قال **الراغب**:" أصل البواء مساواة الأجزاء في المكان ،و بوّأت له مكاناً سويته فتبوأ." (6)

و قال **السخّاوي**:"أنّ أثويت إنساناً ،إذا أنزلته منزلاً يقيم فيه." (7)

---

- (1) الآية (58)،سورة العنكبوت.
- (2) الآية (45)،سورة القصص.
- (3) الآية (60) ،سورة الزُّمر.
- (4) لسان العرب ،لابن منظور مادة (ثوى)،دار صادر ،بيرروت،ج14/ص125.
- (5) المصدر نفسه،ج1/ص38.
- (6) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة،أحمد بن محمد الخراط،ص 90.
- (7) المرجع نفسه ،ص90

ويقول الحقُّ سبحانه وتعالى:"وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ " (1)

إنّ التكامل بين القراءتين يظهر مباشرة من المعنى اللغوي ،و يمثّلُ مرحلتين من مراحل الاستعداد لاستقبال الضيف ،فالإنسان إذًا في الحياة الدنيا إذا دعا إليه شخصاً فإنّه يلتزم بتكريمه و يقوم بتجهيز المكان الذّي سيحلُّ به ،و لله المثل الأعلى فقد وعد الله سبحانه وتعالى عباده الذّين آمنوا بأن يعدّ لهم جنّات ،فنجده ينقل لنا صورتها التقريبية عبر صور تعلقت في ذهن الإنسان ،فعلى قراءة البواء فإنّ الله عزّ وجل قد أوكل لنفسه تجهيز و إعداد الجنّة بغرف و ما يتناسب مع إكرام الضيف كلُّ حسب مقامه.

و على قراءة الثّواء تأتي المرحلة الثانية فهذا المكان المجهّز يحتاج إلى من يقيم فيه ،فبعد أن يأخذ كلّ مؤمن مكانه في الجنّة فإنّه سيثوي بها مقيماً إقامةً غير محدودة بفترة زمنية ،و هذا تطمين لهم بأن تلك التقلُّبات التّي كانت في الدنيا زالت في المقام الذّي أنتم فيه.

الله سبحانه وتعالى جعل من خلال هاتين القراءتين القارئ يشتاق إلى الجنّة من خلال أسلوب تحريك المشاعر التي تتظافر منتجة رغبة عارمة للاجتهاد من أجل الوصول إلى ذلك المقام الرفيع،كما تتجلى رحمة الله في أنّه لم يخضع تلك الجنان للقانون الدنيوي المصاحب للتقلبات فجعل فيها خلوداً ما بقيت السموات و الأرض.

و على العموم فإنّ كلا القراءتين لها أثر نفسي على القارئ الذّي يشد سمعه تلك الكلمات المترامية على صفحة الإنتاج الدلالي.

---

- (1) الآية (93)،سورة يونس.

## *الأنموذج التاسع*

**قال الله تعالى:**

إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ " (1)

كما وصفت الآية السابقة الجنّة و أهلها فإنّ هذه الآية تصف النّار و أهلها،و قد تعدّدت القراءة في كلمة(يغلي)،فقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم (**يغلي**)،و قرأ الباقون (**تغلي**).

سنبدأ مع شجرة الزّقوم قال **الواحدي** :" و شجرة الزّقوم شيء مرّ كريه ،يُكره أهل النار على تناوله،فهم يتزقّمونه،و هي على هذا مشتقة من التزقّم ،و هو البلع على جهد لكراهتها ونتنها." (2)

و قد وصفها الله سبحانه وتعالى في قوله:"طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ " (3)

فوصف المتخيّل بالمحسوس رغم أنّه غير ظاهر ،فهي شجرة تخرج في أصل الجحيم ،و أغصانها تخرج على دركاتها،و ثمرها كأنّه رؤوس الشياطين ،و قد تعلق في أذهاننا قبحها وكراهيتها ،كما تعلق في أذهاننا جمال الحور العين و بهاؤها.

و على القراءة الأولى (**تغلي**)،فإنّ الفعل مسند إلى الشجرة و المعروف أو المتعلق بذهننا أنّ الغليان للماء و ليس للشجر ،فأي حرارة هذه التي جعلت الشجر يغلي كالحمم ،إنّ هذا التصوير في الحقيقة يجعل المرء يترنح بين الحياة والموت لأنّه يتصور ما لا يحتمل العقل تصوره ،ثمّ إنّها تغلي في البطون ،ولو استحضرنا البطن و الشجر فلا تناسب بينهما ،فلنتخيل بطن ذلك الآثم القابع في الجحيم و بطنه فيها شجرة تغلي،لقد ملأ الله سبحانه وتعالى المشهد بالحركة من خلال كلمة واحة لا غير (تغلي).

و على القراءة الثانية (يغلي) فإنّ الفعل مسند للطعام و هذا الطعام من تلك الشجرة فصار كالزيت أو القطران أو النُّحاس المذاب لقوله تعالى:"ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا " (4)

ولكن لو أردنا تحويل المشهد إلى ثلاثي الأبعاد لقلنا بأنّ الكلام في البداية من خلال قراءة (تغلي) كان على عموم القول ،و جاءت القراءة الثانية لتفصّل الأمر ،فنرى الآثم و هو يأكل من تلك

---

- (1) الآية (43-44-45)،سورة الدّخان.
- (2) فتح القدير للشوكاني،دار إحياء التراث العربي،بيروت ج4/ص397.
- (3) الآية (65)،سورة الصافات.
- (4) الآية (96)،سورة الكهف.

الشجرة دون توقف حتى صارت كلّها في بطنه لتأتي عملية الهضم و هي المرحلة الثانية من الأكل و التي بها تتحول المواد الصلبة إلى مواد كريهة تعتمل في بطنه متحوّلة إلى حمم ،كما نستطيع أن نتصور ذلك الآثم و الحمم تتدفق منه كأنّه بركان.

## *الأنموذج العاشر*

**قال الله تعالى:**

"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَـٰدِمِينَ " (1)

ترشدنا الآية الكريمة إلى السلوك الاجتماعي القويم الذّي يجب على المسلم العمل به و إلاّ كان آخر أمره الندامة،و الدعوة جاءت موجّهة لطائفة الإيمان و هي الطائفة المخصوصة من الأمة الإسلامية على صيغة التحذير من هؤلاء اللذّين يمشون بين النّاس بالنميمة كما وصفهم القرآن بالفسق.

و قد تعددت القراءة في كلمة (فتبيَّنوا) التي قرأ بها الجمهور،و قرأ حمزة و الكسائي (فتثبَّتوا).

القراءة الأولى مشتقة من الفعل تبيَّن ،جاء في لسان العرب:"التبيُّن الإيضاح ،و تبيّن الشيء:ظهر ،و استبنت الشيء إذا تأملته حتى يتبيّن لك ،و بان الشيء :اتضح." (2)

و منه البيّنة و هي وضوح الحقّ لقوله تعالى:"لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ " (3)

و قوله تعالى:"قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ " (4)

من خلال الآية الكريمة فإنّ التبيُّن عكس التشابه الذّي هو اختلاط الحقّ بالباطل،إذًا هذا النبأ قبل التبيُّن يحمل في طياته احتمالين أحدهما حقيقة و الآخر كذب،و الإنسان إذا اختلط عليه الأمر وجب عليه البحث يقول **الطبري**:"التبيُّن هو التّأني و النظر،و الكشف عنه حتى يتضح." (5)

و يقول**الطاهر بن عاشور**:"التبيُّن طلب بيان الأمور فلا تعجلوا،فتتبعوا الخواطر الخاطفة الخاطئة."(6)

---

- (1) الآية (6)،سورة الحجرات.
- (2) لسان العرب،ابن منظور،ج13/ص67.
- (3) الآية (1)،سورة البيّنة.
- (4) الآية (70) ،سورة البقرة.
- (5) جامع البيان عن تأويل القرآن،للطبري،دار الفكر ،بيروت،ج5/ص225.
- (6) التحرير و التنوير،محمد الطاهر بن عاشور،الدار التونسية للنشر،ج5/ص167.

إذاً فالتبيُّن استظهار الحقّ من الباطل قبل اتخاذ القرار و ظلم النّاس لأنّ هذا الذّي جاء بالخبر فاسق،و الفاسق لا يؤتمن له مهما قال من الحقّ لأنّ غايته من نقل الخبر ليست إعلام النّاس و إنّما هو التفريق بينهم.

و القراءة الثانية (فتثبّتوا)،جاء في **لسان العرب**:"تثبّت في الأمر و الرأي تأنّى فيه،و لم يعجل،و استثبت في أمره،إذا شاور و فحص عنه."(1)

يقول الحقُّ سبحانه وتعالى:"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ" (2)

بمعنى يرسّخها في الأرض حتى لا تسقطوا أو تزلّوا لقوله تعالى:"يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ "(3)

يقول الطاهر بن عاشور:"اطلبوا الثّابت الذّي لا يتبدّل،و لا يحتمل نقيض ما بدا لكم." (4)

من خلال ما سبق يتبيّن أنّ القراءتين ترتيب لمراحل الوصول إلى الحقيقة فالتثبُّت يأتي بعد التبيُّن فيظهر التكامل بين القراءتين و التأمل و التمحيص و إعمال التريث في قطع الأمر هو تبيّن يقود الإنسان إلى التثبت من الأمر.

---

- (1) لسان العرب،ابن منظور مادة ( ثبت)،ج2/ص19.
- (2) الآية (7)،سورة محمد.
- (3) الآية (27)،سورة إبراهيم.
- (4) التحرير و التنوير،محمد الطاهر بن عاشور،ج5/ ص167.

# المبحث الثّالث

## الحرف بين الإثبات و الحذف.

## *الأنموذج الأول*

**قال الله تعالى:**

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ (1)

تعدُّ سورة الفاتحة من السور التي جمعت في طياتها كلّ معاني القرآن الكريم،و أسس الدعوة المحمدية ،و ركائز العقيدة الإسلامية حيث تبتدئ بالحمد ،ثمّ الثناء على الله ،ثمّ التمجيد له .

و قد تعدّدت القراءات في قوله تعالى:"ملك يوم الدّين" ،فقرأ عاصم و الكسائي (**مالك**)،و قرأ الباقون (**ملك**).

تتكون الكلمة من ثلاثة أحرف و هي الجذر اللغوي لها كما جاء في **لسان العرب**:" ملكت العجين أملكه ملكاً،إذا شدّدت عجنه،و قويت عليه،قال **قيس بن الخطيم**:

**ملكت بها كفي فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها**

يعني شددّت بالطعنة ،وما تمالك ،أي ما تماسك."(2)

أي أنّها تفيد القوة و التماسك و الشدّ و كلّ هذه الدلالات مترامية بين أحرف هذه الكلمة.

و إذا ما عدنا إلى القراءة الأولى (مالك)،وجدنا لها خصوصية لا تتوفر في القراءة الثانية و هذه الخصوصية تتمثل في أنّ المالك يتصرف في ملكه ،و هي اسم فاعل لمن ملك و قرنها بيوم الدّين لأنّ الله سبحانه وتعالى يملك ذلك اليوم و يملك التصرف فيه لقوله تعالى:"يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا تَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ "(3)

و قوله تعالى:"رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابًا "(4)

و مالك الشيء هو المتصرّف فيه بقدرته و لا يستطيع هذا الأخير أن يقوم بأدنى حركة من دون إذن مالكه.

---

- (1) الآية (1-2-3-4)،سورة الفاتحة.
- (2) لسان العرب ،لابن منظور مادة ( ملك)،ج10/ص494.
- (3) الآية (16) ،سورة غافر.
- (4) الآية (37،سورة النبأ

قال تعالى:"قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ" (1)

و ليس المقصود فقط المتصرّف في أحكام يوم الدّين ،بل تطلق الصيغة على عموم الملك بما فيه.

أمّا قراءة (ملك) فيه صفة مشبّهة تدّل على الثبوت،و هي صفة تطلق على الآمر و الناهي المتحكّم في تصرفات الناس يقول الإمام الطبري:"لله ملك يوم الدّين خالصاً دون جميع خلقه،الذّين كانوا من قبل ذلك ملوكاً جبابرة."(2)

فالله سبحانه وتعالى جعل له في الأرض ملوكاً يتصرفون في ملكه و الفرق بين الصفتين أنّ صفة الملك في الدنيا زائلة بزوال صاحبها ،و لكن الله سبحانه وتعالى حيّ لا يموت فصفة ملكه ثابتة،كما أنّ ملوك الأرض إن تصدّقوا انتقص ذلك من ملكهم ،و لكن الله سبحانه وتعالى لا ينتقص ملكه بل يزداد.

إذاً فالقراءتين جمعتا بين صفتين متكاملتين كمال الله سبحانه وتعالى،فهو الملك والمالك في نفس الوقت ،ملك لأنّه يدبّر شؤون الخلق،و مالكهم لأنّه خلقهم و سيعودون إليه كما خلقهم أول مرّة.

---

- (1) الآية (26)،سورة آل عمران.
- (2) جامع البيان عن تأويل القرآن،للطبري، ج1/ص65.

## * الأنموذج الثاني*

**قال الله تعالى:**

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا " (1)

هذه الآيات نداء لمن لبس الإيمان قلوبهم ،دعوة من الحقّ سبحانه وتعالى إلى إتباع الحقّ و العدل بين النّاس ولو كان ذا قربى.

و تعدّدت القراءة في كلمة (تلوا)،فقرأ الجمهور بواوين (تلووا)،و قرأ ابن عامر وحمزة بواو واحدة (تلوا)

و قراءة الجمهور مشتقة من الفعل لوى يلوي و معناه الثنيُ أو الفتل ،لقوله تعالى:"وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ " (2)

والمعنى يثنون ألسنتهم لتحريف الكلمة كما كان يقول اليهود لأنبيائهم ومنها قوله تعالى: "﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ " (3)

و بما أنّ الآية الكريمة تشير إلى الشهادة الحقّة ،فقد حذّر الله سبحانه وتعالى أهل الإيمان من أن ينزاحوا إلى العاطفة و يحكّموا أهوائهم فيها و هو بمثابة ليٍّ للّسان الذّي فطر على الشهادة بالحقّ فتغير فطرته هو ليٌّ له و تبديل للحقّ.

و قراءة (تلُوا) فسّرها **الإمام الطبري** بقوله:"و إن تلُوا أمور النّاس أو تتركوا." (4)

أما **الشيخ ابن عاشور** فقد وجّه الكلام إلى القضاء قائلاً:"و إن تلوا القضاء بين الخصوم."(5)

---

- (1) الآية (135)،سورة آل عمران.
- (2) الآية (78)،سورة آل عمران.
- (3) الآية (75)،سورة البقرة.
- (4) جامع البيان،ج325/5.
- (5) التحرير و التنوير،الطاهر ابن عاشور،ج5/ص228.

و المعنى و إن تتولوا القضاء بين النّاس فعليكم بالعدل لذلك أتبعها بقوله تعالى:"**فإنّ الله كان بما تعملون خبيراً**".

و الموازنة بين القراءتين يبين عن معاني غزيرة متراكمة في حرف واحد ،فيا أيُّها النّاس إن توليتم القضاء بين النّاس فاعدلوا ولا تعرضوا عن الحقّ ،فإن لويتم و غيرتم وجهة الحقّ فإنّ الله عليم خبير،لذلك فإنّ القراءتين متكاملتين متتابعتين في المعنى فيهما أمر بالعدل و نهي عن الظلم و الفارق بينهما حرف واحد فسبحان من جعل في الحرف معنيين متناسبين متكاملين.

## *الأنموذج الثالث*

**قال الله تعالى:**

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ " (1)

إنّ الآية الكريمة خطاب لطائفة المؤمنين ،و الخطاب جاء مقروناً بإيمانهم حيث ناداهم الله سبحانه وتعالى بما صرّحوا به بألسنتهم و حان وقت التصريح بالقلب من خلال الانصياع لأمر الله.

و قد تعددت القراءة في كلمة (فأذنوا)،فقرأ أبو بكر عن عاصم و حمزة بالمدِّ (فآذنوا)،و قرأ الجمهور بالهمزة (فأْذَنُوا).

و قراءة الجمهور جاءت على صيغة الأمر:من أذن به ،يقال:" أذنت بهذا الشيء أي علمت." (2)

و التقدير اعلموا أيُّها المخالفون لهذا الأمر أنّكم أعلنتم حرباً على أنفسكم من الله و رسوله .

و من الدلالات أيضاً الاستماع ،لقوله تعالى:"إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ" (3)

و كأنّه يقول لهم أنّني أنذرتكم فاسمعوا بأخبار من يستمر على ما هو عليه من أكل الرِّبا.

و إذا قلنا أذن له،أي سمح له بفعل الأمر لقوله تعالى:"وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ "(4)

و كأنّهم سمحوا للعذاب ليحلّ بهم من خلال عصيانهم لأمر الله سبحانه وتعالى.

و يقول الحقّ سبحانه وتعالى:"وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ "(5)

---

- (1) الآية (278-279)،سورة البقر.
- (2) العين ،للخليل بن أحمد الفراهيدي،دار إحياء التراث العربي،بيروت لبنان،ص21.
- (3) الآية (1-2)،سورة الانشقاق.
- (4)الآية (49)،سورة التوبة.
- (5) الآية (61)،سورة التوبه.

فالّذين كفروا كانوا يقولون أنّ الرسول صلى الله عليه و سلم هو فأل شر فردّ عليهم القرآن بأنّه هو الخير كلّه و الدلالة التي تفيدها القراءة من خلال هذه الإشارة هو أنّهم بأكلهم الرّبا فقد فتحوا أبواب الشرّ على أنفسهم و قد علمتم ذلك.

أمّا القراءة الثانية (فآذنوا) ،فهي من آذنه بكذا أي أعلمه [1] لقوله تعالى:"فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ " (2)

أي أعلمتكم جميعاً بما هو كائن فأعلموا غيركم بأنّ متعاطي الرّبا ستحلّ عليه حرب من الله و رسوله،و هنا المغزى إذ أنّ اللذّين سمعوا هذا الخطاب سيعلمون أنفسهم بذلك فترتعد فرائسهم كما قال **ابن عطية**:"فأعلموا نفوسكم هذا"(3)

و هنا إشارة إلى خطورة هذه الظاهرة إذا حلّت بالمجتمع ،ومن خلال الجمع بين القراءتين يظهر لنا ذلك ،فالأولى تحمل معنى التحذير المباشر لهم ،و الثانية هي دعوة من أجل إعلام الآخرين بهذا الفيروس القاتل الذّي ينخر أركان المجتمع فتظهر لنا رسالة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ،فقراءة (فأذنوا) تخاطب الفرد في حين تخاطب قراءة (فآذنوا ) المجتمع.

- (1) النشر في القراءات العشر،ابن الجزري،ج2/ص236.
- (2) الآية (109)،سورة الأنبياء.
- (3) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية،أحمد بن محمد الخراط،ص 123.

## *الأنموذج الرابع*

**قال الله تعالى:**

"وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ "(1)

فالكفار و المشركون لم يجدوا باباً إلاّ و طرقوه من أجل الطعن في الرسالة الإسلامية.

و تعددت القراءة في كلمة(درست) فقرأ ابن عامر (دَرَسَتْ) ،و قرأ ابن كثير و أبو عمرو (دارسْت)،و قرأ حمزة و الكسائي و نافع (دَرَسْتَ).

يقال :"درس الثوب درساً أي بمعنى بلي وأخلق ،و درسته الرّيح أي محته". (2)

فقراءة ابن عامر (دَرَسَت) بمعنى صارت قديمةً لذلك في كثير من الآيات يتبع الله سبحانه وتعالى اتهاماتهم بقوله:"وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا " (3)

و الفعل يقع على الآيات التي جعلوها من الأساطير القديمة التي انمحت و صارت بالية لا فائدة فيها و كأنّهم يعلمون ما جاء به النبّي صلى الله عليه وسلم ،معلنين حرباً نفسية على اللذّين آمنوا لتثبيط عزيمتهم،فهم نظروا إلى الفكرة و تركوا الغاية لأنّ كلّ الأنبياء جاؤوا برسالة واحدة و هي توحيد الله سبحانه وتعالى.

أمّا قراءة (دارست) فجاءت على وزن فاعل،و الخطاب موجّه للنبي صلى الله عيه وسلم،و المفاعلة تحتمل وجود شخص آخر كان يذاكره النّبي و يظهر ذلك من خلال قوله تعالى:"وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا " (4)

و الحقيقة كذلك فمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن يستقي الآيات من نفسه بل علمه ربّه فقولهم فيه جزء من الحقيقة،و الحقيقة الثانية أنّهم أقاموا الحجة على أنفسهم فهم يعلمون أنّه لا يقرأ و لا يكتب فكيف يتدارس مع شخص آخر؟

و قراءة (دَرَسْت) على صيغة الخطاب للنبي بإسناد الفعل إليه حيث يقولون أنّه درس كتب الأولين أي كتب أهل الكتاب و هذه الأخبار أتيت بها من عندهم و لا مصدر لك غيرها.

---

- (1) الآية (105)،سورة الأنعام.
- (2) لسان العرب ،لابن منظور مادة (درس)،ج6/ص79.
- (3) الآية (5)،سورة الفرقان.
- (4) الآية (4) ،سورة الفرقان.

و الله سبحانه وتعالى سبق في علمه أنّهم سيقولون ذلك "**وكذلك نصرّف الآيات**" لتدل على الصيرورة.

قال **الباقلاني** :" من كان يختلف إلى تعلُّم علم لم يخف على الناس أمره ،و لم يشتبه عندهم مذهبه و قد كان يعرف فيهم من يحسن هذا العلم ،و إن كان نادراً ،و ليس يخفى في العرف عالم كل صنعة ومتعلِّمها ،فلو كان منهم لم يخف أمره." (1)

و الجمع بين القراءات الثلاث يظهر أبدع الدلالات ،فهي تظهر المشركين يقلبون في الأرض يبحثون عن إبرة يخزون بها الإسلام و المسلمين فأتوا من كلّ الجوانب ،أولها توجيه الاتهام للآيات (درَسَتْ) و ،الثاني توجيه الاتهام لقائلها المتعلَّم (درَسْتَ) ،و الجانب الثالث لمعلّمها (دارسْت)،و لكنّهم في كلّ مرة يجدون الباب موصداً أمامهم ،لأنّ اتهاماتهم لم تبن على أسس منطقية.

---

- (1) إعجاز القرآن،للباقلاني،تحقيق السيد أحمد صقر،دار المعارف،مصر ،الطبعة الثالثة،ص35.

## *الأنموذج الخامس*

**قال الله تعالى:**

إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿٨١﴾

تمثّل هذه الآيات خروج الجنس البشري عن الفطرة التي فطره الله عليها ،و هي خطاب صارخ من لوط عليه السلام لقومه اللذّين انحرفوا عن المنهج الربّاني.

و وقع التعدّد في قراءة (**إنّكم**) ،حيث قرأ حفص عن عاصم ،و نافع (**إنّكم**) ،و قرأ الجمهور (**أإنّكم**)

و القراءتان تختلفان في الأسلوب ،فالأولى على صيغة الخطاب و الثانية على صيغة الاستفهام.

فقراءة الاستفهام هنا ليست للعلم و إنّما تفيد التوبيخ و الإنكار ،فاستعظم لوط عليه السلام عملهم الدنيء الذّي لا يمتّ بأي صلّة مع العلاقات الاجتماعية ،فالله سبحانه وتعالى خلق المرأة لتكون الطرف الثاني المتحمّل لمتطلبات الرجل و خلق الرجل ليكون المتحمّل لمتطلبات المرأة ،فهذه الثنائية هي الفطرة السليمة التي فطر الله عليها بني آدم ،و أي تغير فيها سيصيب المجتمع بنوع من الانحطاط الحيواني ،و من شأن الاستفهام هنا تشنيع عملهم و التنفير منه موسّعاً درجة فداحتها.

و الاستفهام هو من أبلغ الأساليب التي نقيم بها الحجة على الطرف الآخر كونه يحمل في طياته خصوصية بلاغية ،و التي من خلالها تتحرك كلّ الحواس لتتلقف الخبر الذّي يأتي بعدها ،و أي خبر هو إنّه الهلاك.

أمّا قراءة الإخبار فهي متناسبة و السياق إذ قال الحقّ سبحانه وتعالى:"وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ " (2)

و لكن هذه الآية لم تفصح عن نوع هذه الفاحشة تاركة القارئ يتساءل ماذا كان يعمل قوم لوط،كما أنّها حملت استفهاماً إنكارياً بيّن شناعة الجريمة المرتكبة،فجاءت القراءة الثانية لتكسر تلك الرغبة من خلال تفسير الإبهام،فالمتلقي حين تواجهه بأسلوب الإخبار سيدرك أنّه لا مفر له من مواجهة الحقيقة و ترقب العقاب.

لقد أفادت القراءتين بيان التوبيخ و الإنكار و في نفس الوقت بيان فعلتهم النكراء.

---

- (1) الآية (81)،سورة الأعراف.
- (2) الآية (80)،سورة الأعراف.

## *الأنموذج السادس*

**قال الله تعالى:**

"وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ " (1)

تقصُّ الآية الكريمة مشهداً من مشاهد يوم القيامة أين سيقف ذلك الذّي تمتّع في الدنيا ونسي حظّه من الآخرة حتّى إذا جاء أمر الله تذّكر.

و قد تعدّدت القراءة في قوله تعالى (أذهبتم)،فقرأ ابن عامر و ابن كثير (أأذهبتم) بهمزتين و قرأ الجمهور (أذهبتم).

جاءت الصيغة الأولى على منوال الاستفهام الذّي يحمل في طياته التوبيخ و الإنكار، و التقدير **أأذهبتم طيباتكم في حياتكم و تنتظرون الفرج ؟**.

إنّه استفهام موجع للقلوب مكسَّر لعنجهية النفس التي كانت تتطاول في الدنيا ،فنتصور المشهد و الرسول صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآيات على أصحابه و كأنّها صعقة كهربائية تحرّك الإنسان و تذكره بأنّ الدنيا دار عمل و اجتهاد،و لنتصور الموقف يوم القيامة وذلك الإنسان الذليل يقف بين يدي الله واضعاً في حسبانه أنّه ناجٍ من العذاب فتأتي هذه الآية بهذا الاستفهام لتجعله يحمل نفسه على تعذيب نفسه،فالله سبحانه وتعالى له صنفين من العذاب :عذاب للنفس و عذاب للجسد.

كما أنّ الآية بدأت بالإخبار (يوم يعرض..) لتنقلب فجأة بأسلوب الالتفات محدثة زلزال لكلّ من يقرأ أو يسمع حتى يظنّ أنّه يعيش ذلك المشهد.

أمّا قراءة الجمهور (أذهبتم) فهي على صيغة الإخبار و تقرير الحقيقة التي تجعل الكافر يتأكد من مصيره لأنّه أفنى طيباته في الدنيا فأنسته ذكر الله سبحانه وتعالى،و لو تدبرنا الآية الكريمة سنلمح فيها صورة بالغة الدّقة و هي السرعة في التقرير و الحساب ،و كأنّهم وقفوا بين يدي الله سبحانه وتعالى فعجّل بعذابهم دون أن يسألهم ،و هنا تكمن العلاقة بين القراءتين،فالقراءة الأولى هي التي سألتهم وجاءت القراءة الثانية متضمّنة الإجابة و تقرير المصير والتقدير:أأذهبتم طيِّباتكم،نعم أذهبوا طيباتهم،فاليوم يجزون العذاب.

---

- (1) الآية (20)،سورة الأحقاف.

## *الأنموذج السابع*

**قال الله تعالى:**

" وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ "(1)

تمتدح هذه الآية الكريمة من أحسن إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و آثر على نفسه بالغالي و النفيس ،و جاء هذا المديح من ربّ السموات و الأرض الذّي وعدهم بجنّة الخلد فوصف هذه الجنّة بأن قال:تجري تحتها الأنهار،و تعدّدت القراءة في الآية الكريمة فقرأ ابن كثير :"من تحتها"،وقرأ الجمهور تحتها.

يقول الإمام **ابن أبي مريم**:"و الفرق بين القراءتين في المعنى:أنّه إذا ألحق من أفاد أنّ الأنهار مبتدأ جريها من أسفل الجنّات ،لأنّ من لابتداء الغاية،و من نصب و لم يلحق من أفاد أنّ الأنهار جارية من جهة أسفلها."(2)

و هنا يظهر التكامل بين القراءتين فإذا كانت من تفيد ابتداء الغاية فإنّ قراءة **ابن كثير** تفيد أنّ منابع هذه الأنهار تكمن تحت هذه الجنان ،و على قراءة الجمهور تفيد بأنّ هذه الأنهار مجراها تحت هذه الجنان.

إنّ هذه الصورة التي بين أيدينا من خلال تأمل القراءتين تبرز درجات الجنّة فهؤلاء اللذّين يرون منبع الأنهار نعيمهم متجدد و درجتهم عالية رفيعة ،اختصهم الله سبحانه و تعالى بهذا الفضل على غرار إخوانهم من المؤمنين و هذا ما يبيّنه قوله تعالى:"وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا ﴿٤٩﴾ عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ" (3)

فمنبع العين موجود في الجنّة و في أصلها ،و يمكن الاستفادة من القراءتين للدلالة على حركية النهر.

---

- (1) الآية (100)،سورة التوبة.
- (2) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية،أحمد بن محمد الخراط،ص 136.
- (3) الآية (46-47-48-49-50)،سورة الرحمن.

## * الأنموذج الثامن*

**قال الله تعالى:**

"وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ (1)

خاطب النبيُّ صالح قومه بهذه الآية في سياق لومهم و التقريع لهم بعد أن ذكّرهم بنعم الله عزّ وجلّ و هم قوم (ثمود) الذّين كانوا يسكنون مدينة الحجر و يتخذون من الجبال بيوتاً وتعدّدت القراءة في قوله تعالى:"**فرهين**" ،فقرأ ابن عامر و عاصم و الكسائي و حمزة (**فارهين**)،و قرأ الباقون (**فرهين**).

و **الفاره** في اللغة كما جاء في **لسان العرب** :الحاذق بالشيء. (2)

و قد فسّر الإمام **الطبري** هذه القراءة بقوله:"إنّ القوم حاذقون بنحتها،متخيّرون لمواضع نحتها،كيّسون." (3) ،و هذا ما يبيّنه قوله تعالى:"وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ " (4)

ومعنى جابوا هنا أي قطعوا الصخر ونحتوه،وتبيّن قراءة (**فارهين**) أنّهم كانوا متقنين للحرفة النّحت و ليس هذا فقط و إنّما كانوا أذكياء في اختيار المكان المناسب للنّحت و درجة صلابة التربة في ذلك الجبل مما يدلّ على أنّهم تميّزوا في هندسة البناء السابقة لعصرهم فلو نظرنا إلى مدينة البتراء التي هي من عجائب الدنيا لرأينا درجة الإتقان الهندسي في البناء.

أمّا قراءة (فرهين) فهي من الفره:"أي الأَشِر و البَطِر ،ورجل فره أشر." (5)

و فسرها الإمام **ابن كثير** على أنّهم كانوا يتخذون تلك البيوت أشراً ،و بطراً ،و عبثاً ،أي من غير حاجة إلى سكناها لقوله تعالى:"أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ " (6)

كما فسرها البعض على أنّها من الفره و العيش في النعيم لقوله تعالى:"أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَـٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ " (7)

---

- (1) الآية (149)،سورة الشعراء.
- (2) لسان العرب ،ابن منظور مادة (فره)،ج13/ص 522.
- (3) جامع البيان ،للإمام الطبري،ج19/ص101.
- (4) الآية (9)،سورة الفجر.
- (5) لسان العرب،مادة (فره)،ج13/ص522.
- (6) الآية (128)،سورة الشعراء.
- (7) الآية (146-147-148)،سورة الشعراء.

وقد فسرها ابن مجاهد بقوله:"معجبين بصنعتهم".

وبالنظر إلى القراءتين نجد أنّ إحداهما تمثّل السبب و الأخرى تمثّل النتيجة ،فقوم صالح كانوا متمكّنين في صنعتهم وعملهم الذّي كانوا يباهون به بين الأمم ،و لتحقيق ذلك كانوا يعمّرون في الأرض بالبنيان لأنّ البنية التحتية لأي بلد تمثّل الوجه الحقيقي للتطور و الازدهار،هذا الأمر حقّق لهم كلّ متطلبات الحياة فعاشوا حياة الترف و البذخ الأمر الذي أنساهم ذكر الله سبحانه وتعالى،لأنّ الإنسان **الفره** دائماً ما نجده يستغني بعلمه وذكائه لقوله تعالى:"كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ " (1)

فهم رأوا بذكائهم أنّهم استغنوا فطغوا في الأرض و القراءتان تصوّران ذلك.

- (1) الآية (6-7)،سورة العلق.

## * الأنموذج التاسع*

**قال الله تعالى:**

"ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ (1)

لقد توعّد الله سبحانه و تعالى من أشرك به و جعل نفسه رباً يُعبد بأشد العذاب يوم القيامة.
تعدّدت القراءة في كلمة(أدخلوا) ،فقرأ ابن عامر ابن كثير و أبو عمرو عن عاصم و أبو عمرو بوصل الهمزة و ضمّ الخاء (ادْخُلوا)،و قرأ الباقون بهمزة القطع و كسر الخاء (أَدخِلوا).

وقراءة القطع (أدخلوا) تفيد الأمر الموجّه إلى ملائكة العذاب لقوله تعالى:"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ " (2)

فهم ينتظرون فقط أمر الله لينفذوه،ولكن هذا الأمر خصّ بطائفة معينة إنّهم آل فرعون ،لأنّهم يعذّبون قبل قيام الساعة (**النار يعرضون عليها**) ،وهذا العرض هو تعذيب نفسي قبل أن يكون تعذيباً حسياً و لكنّهم لم يدخلوها ليأتي الفعل (أدخلوا) المصاحب لقيام الساعة فيذوقوا العذاب الحسي ،و هذا إشارة إلى أنّهم لن ينتظروا مع الأقوام الأخرى للحساب،كما أنّ الفرق بين (ادخلوا ) و (أدخلوا) واضح جداً من ناحية الصوت ففعل القطع يحمل كلّ أنواع الشدة في الأمر و الغضب، مبرزاً نوعية العذاب و حال المعذّب.

و جاءت القراءة الثانية (ادخلوا) و هي تشترك مع سابقتها في صفة العذاب و لكن الأمر موجّه باسمه إلى الطائفة المخصوصة بالعذاب (**آل فرعون**) ،وهذه القراءة تزيد عن سابقتها كون النداء هنا على الأشهاد ما يزيد المشهد خوفاً و رهبة ،و يزيد آل فرعون بؤساً وندماً ،و الملاحظ في الأمر أنّ الإنسان يلبي النداء إذا كان فيه خيراً له ،فكيف يدخل آل فرعون العذاب بأقدامهم ؟
تشير القراءة هنا إلى سلب الإرادة منهم وتحكم الجوارح بهم لأنّها منصاعة لأمر الله فلا مفرّ لهم منه فتلك النفس التي كنت تشاطرها الرأي في الدنيا تقودك يوم القيامة إلى المصير المحتوم.

---

- (1) الآية (46)،سورة غافر.
- (2) الآية (06)،سورة التحريم.

## *الأنموذج العاشر*

**قال الله تعالى:**

"أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ " (1)

تشير الآية الكريمة إلى مشهد من مشاهد الإنكار و التكذيب التي كانت قريش تواجه بها رسالة الإسلام ،فبعد إن قصّ عليهم حادثة الإسراء و المعراج استخفوا به و استهزءوا بقوله رغم ما جاءهم به من دلائل و براهين.

وتعدّدت القراءة في قوله تعالى (أفتمرونه) ،فقرأ حمزة و الكسائي (أَفَتَمْرُونَه) ،و قرأ الباقون (أفتُمارونه).

و بالعودة إلى معاجم اللغة العربية نجد أنّ جذر القراءة الأولى من الثلاثي (**مرا**) :مريته حقّه ،أي جحدته إيّاه. (2)

و هذا الأمر كان معروفاً لدى كفار قريش ،فدرجة إنكارهم لما جاء به محمد صلى الله عليه و سلم جعلتهم لا يكذّبون فقط ما يقول لهم بل انتقلوا على أمر أعظم من هذا و هو تكذيبهم له فيم يرى،و تكذيب الإنسان في حاسة من حواسه دليل على أنّك تجحده حقّه في كلّ شيء،و قد عدّي الفعل (بعلى) ما حمّله معنيين:معنى الجحود و التكذيب ،و معنى المغالبة يقول **الطاهر بن عاشور**:"تعدّية الفعل بحرف الاستعلاء لتضمنه معنى الغلبة :أي هبْكُم غالبتموها على عبادتكم الآلهة،وعلى الإعراض عن سماع القرآن وغير ذلك ،أتغلبونه على ما رأى ببصره." (3)

أمّا القراءة الثانية(أفتُمارونه) فجاءت على منوال سابقتها و لكن بمعنى تكميلي و تصوير لمشهد حيّ ،وهي من :**ماراه** يماريه مماراة ،أي جادله وحاججه.(4)

و يقال للمناظرة (**مماراة**)،لأنّ كلّ واحد (**يمْتري**) الآخر لاستخراج ما عنده لذلك يقال: مَري الناقة،أي استخراج ما في ضرعها من لبن.

و إذا كان الأمر كذلك فإنّ القراءة أضافت لوناً آخر من ألوان الجحود الذّي واجهت به قريش محمد صلى الله عليه وسلم ،فهم لم يكذّبوه فقط بل راحوا يجادلونه جدالاً واسعاً من خلال التساؤلات التي

---

- (1) الآية (12)،سورة النجم.
- (2) لسان العرب ،مادة (مرا)،ج15/ص278.
- (3) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية،أحمد بن محمد الخراط،ص 149.
- (4)ينظر:الدرّ المصون ،ج10/ص98.

تحمل في طياتها التكذيب ومحاولة طمس الحقائق .

إذاً فالقراءتين متكاملتين تكاملاً لفظياً و معنوياً ،و القراءة الثانية هي تحقيق للأولى ،و القراءة الأولى نتيجة للثانية.

# المبحث الرابع

## الإبدال في الحركات الإعرابية.

## * الأنموذج الأوّل*

**قال الله تعالى:**

"فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ (1)

لما خاطب الله الملائكة قال لهم إني جاعل في الأرض خليفة و لكن لم يوحي إليهم كيفية تمام أمر الخلافة ،فجعل الأمر تعليمي ،فقال لآدم لا تأكل من هذه الشجرة ،ولكنه عصى ربّه و أطاع الشيطان فعلمه الله سبحانه وتعالى التوبة من الذّنب و أعلمه أنّ الشيطان عدو مبين لك و لذريتك و كانت هذه الآية هي أول درس تلقاه آدم من ربّه و كان كلمات،و تعددت القراءة في هذه الآية فقرأ ابن كثير بنصب (آدمَ) و رفع (الكلماتُ) ،و قرأ الباقون برفع (آدمُ) و نصب (الكلماتَ).

و التعدد في الفاعلية و المفعولية بين الكلمات و آدم ،ففي القراءة الأولى نصب آدم على أنّ الكلمات هي التي تلقته و جاء الفعل (فتلقى) على صيغة المذكر لأنّ الكلمات مؤنثة مجازياً ،و الدلالة الناتجة تبرز المشهد و كأنّ الكلمات شخص تلقى آدم و حضنه و ضمّه بعد أن لقيه ،و كأنّ آدم كان يبحث عمن يواسيه في المصيبة التي هو فيها بعد معصية الله ،يبحث هنا و هناك فلا يجد أحداً ،تُظلم الدنيا في وجهه ،و ينقطع نفسه لأنّه يظن أن لا ملجأ من الله إلاّ إليه ،و لكنّه عصى أمر من يلجأ إليه فأين المفر ،و فجأة تبرز كلمات التوبة لتعلّمه أن لا يقنط من رحمة الله تعالى،و المشاهد أنّ المفعول تقدّم على الفاعل لأمرين:

**أولهما:**

لإبراز أنّ آدم هو من كان يبحث عن مفر من عقاب الله تعالى.

**ثانيهما:**

لأنّ المعني بالأمر هنا ليس الكلمات و إنّما آدم عليه السلام ،و معها يبرز أمر آخر و هو أنّ آدم سارع في التوبة و لم يتريث ،و ظهر ذلك من خلال إتباع الفعل (فتلقى) الذّي يمثّل التوبة لصاحب المعصية.

أما فيم يتعلّق بالقراءة الثانية فإنّ الدور ينعكس فيصبح الذّي كان فاعلاً مفعولاً ،و الذي كان مفعولاً يصبح فاعلاً ،و الأمر منوط بأنّ آدم هو من تلقى الكلمات و لكنّه تلقاها من ربّه ،فحفظها و فهمها و عجّل بالتوبة بها.

---

- (1) الآية (37)،سورة البقرة.

و لكن لا يتوقف الأمر عند هذا الحدّ فقط ،و إنّما يتجاوز الكلمات في حدّ ذاته ،فالله سبحانه وتعالى سبق في علمه أنّ آدم سيذنب حين قال:"**إنّي جاعل في الأرض خليفة**"،و لم يقل في الجنّة،و إنّما كانت المعصية درساً له لما سيلقاه في الأرض من عدوّه اللّدود إبليس لعنه الله أو هي تدريب على المعركة التي سيخوضها ضدّ الشيطان ،فجهّزه الله بكلّ أنواع الأسلحة و أهمّها الشحن المعنوي الذّي تفيده التوبة.

ومن تضافر القراءتين يبرز لنا ما خفي في كلّ قراءة على حدا ،إنّه تعبير عن الفرحة العارمة التي وجدها آدم حين تاب إلى ربّه ،إنّها كلمات و لكن ليست كسائر الكلمات ،بل هي الروح الجديدة التي نفخها الله في آدم بعدما احترقت روحه بالمعصية فالتوبة إحياء للقلب و محو للذنوب ،إذن تلقي آدم للكلمات هو توبة ،و تلقي الكلمات لآدم هو الدرس.

## *الأنموذج الثاني*

**قال الله تعالى:**

" أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ (1)

صوم رمضان من العبادات العظيمة التي أخفى الله أجرها و جعلها له،و لكن الإسلام دين يسر و ليس دين عسر كما يدعي بعض المتخاذلين ،فلمن لم يطق الصيام لمرض أو علّة جعل له الله من رحمته مخرجاً و كفارة .

و تعدّدت القراءة في قوله تعالى:" **فديةُ طعامِ**" بالرفع الفدية و جرّ الطعام،و هي قراءة نافع و أبو جعفر و ابن ذكوان،و قرأ الباقون (فديةٌ) بالتنوين و طعامُ (بالرفع).

قراءة التنوين يكون الطعام بدلاً من فدية ،و في ذلك تبين للفدية ما هي،فيكون معنى القراءة أنّ الفدية طعام لاغير لأنّ البدل و المبدل بمعنى واحد.

و أمّا قراءة الإضافة فهي تبين أنّ الفدية مخصوصة بالطعام فقط لأنّ الفدية إسم للقدر الواجب،و الطعام يعمُّ الفدية وغيرها .(2)

و بينهما يتجلى المعنى المراد و هو التيسير على الأمة المحمدية ،فقراءة التنوين تجعل الطعام نوعاً من الفدية دون حصرها ،و قراءة الإضافة كما سبق و أشرنا تفسير و تبين لمعنى الفدية و نوعها.

---

- (1) الآية (184)،سورة البقرة.

- (2) البحر المحيط ،أبو حيان الأندلسي ، دار إحياء التراث،بيروت الطبعة الثانية،(1411هـ/1991م)،ج2/ص37.

## * الأنموذج الثالث*

**قال الله تعالى:**

"هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾(1)

إنّها مشهد من مشاهد يوم القيامة التي يتجلى فيها الله على عباده دون تجسيد ولا تشبيه ليس كمثله شيء و هو السميع العليم،ففي أرض المحشر أين يقف النّاس يترقبون مصائرهم التي أمرُها بين يديه،و المعنى من الفعل(يأتيهم) ليس متعلقاً بالله لأنّ الله لا يأتي و إنّما كلهم آتيهم يوم القيامة،فالفعل متعلّق بيوم الحساب.

و تعددت القراءة في كلمة (ملائكة) ،فقرأ أبو جعفر بالجر ،و قرأ الباقون بالرفع. (2)

فقراءة الجرّ عطف على الغمام أو الظلل ومعناها كما جاء في تفسير الطبري و ابن كثير:"هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله تعالى في ظلل من الغمام و في الملائكة."(3)

و أمّا قراءة الرفع ففيها إضافة الملائكة إلى الله تعالى ،حيث أنّ الملائكة تحمل عرش الرحمن،و الإتيان كما قلنا يليق به وحده.

رغم أنّ الآية تتعلق بمشهد من الغيب و تتعلق به سبحانه وتعالى و لا يمكن الخوض فيها إلاّ بمقدار ما تيسر فإنّ القراءتين تصوّران مشهداً عظيماً من مشاهد يوم القيامة ترتعد له الفرائس بمجرد التفكير في الأمر.

---

- (1) الآية (210)،سورة البقرة.
- (2) النشر في القراءات العشر،ج2/ص227.
- (3) تفسير ابن كثير،ج1/ص236.

## * الأنموذج الرابع*

**قال الله تعالى:**

"۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٢٣٣﴾ (1)

تشير الآية الكريمة إلى الأسس التي تبنى عليها العلاقات الأسرية ،حيث جمعت كلّ النواحي فهي تعتبر دستور الأسرة الأول،و قد تعددت القراءة في كلمة(تضّار) فقرأ ابن كثير و أبو عمرو بالضمّ(تضارُّ) ،وقرأ الباقون بالنصب (تضارَّ).

أمّا قراءة النصب فقد جاءت على صيغة النهي، فالراء الأولى سكنت للإدغام و الراء الأخيرة سكنت للجزم فالتقى الساكنان فتحّرك الأخير منهما بالفتح(2)،و الآية تنهى الأبوين على أن يستعملوا الولد لتحقيق الضرر لبعضهما يقول **الشيخ ابن عاشور**:" و لم تعطف على الجملة التي قبلها ،تنبيهاً على أنّها مقصودة لذاتها. " (3)

فمن الأزواج من يستخدم الولد كوسيلة للضغط على الطرف الآخر و إخضاعه لقوله تعالى:

"أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ" (4)

أمّا قراءة الضمّ فهي إشارة إلى الولد بحدّ ذاته ،أي أنّه يجب الفصل بين المشاكل الزوجية داخل الأسرة و بين مصلحة الولد ،فإنّ أي ضرر بين الوالدين قد ينزاح إلى الطرف الثالث و هو الأولاد،و هذا ليس من الدين في شيء و ليس من أخلاق المسلمين ،و لا من باب الإنسانية أن يستخدم الولد وسيلة للضرر.

---

- (1) الآية (233)،سورة البقرة.
- (2) الموضح في علل القراءات و إعرابها،أبي علي الحسن الفارسي،ج1/ص329.
- (3) التحرير و التنوير ،الطاهر بن عاشور،ج433/2.
- (4) الآية (06)،سورة الطلاق.

إنّ المعاني الجليلة التي تبرز من الجمع بين القراءتين توحي بمدى الإعجاز الذّي تكتنفه الكلمة القرآنية،فهي كلمة واحدة و لكنّها غزيرة المعاني و الدلالات،و فيها كلّ التوجيهات التي تساهم في استمرار الأسرة المسلمة مراعية حقوق كلّ فرد فيها الأب ،الأمّ ،و الأبناء.

ونلاحظ في الآونة الأخيرة حملة تحت عنوان قانون الأسرة الذّي يحاول من خلاله المشرّع الثاني تغليب العقوبة على مصالح الأسرة ،و الذّي كان من أول نتائجه التفكك الأسري الذّي لا يمكن معالجته إلاّ بالعودة إلى قانون الأسرة الذّي شرعه المشرّع الأول و الأخير من خلال القرآن الكريم،فالله سبحانه وتعالى سنّ لكلّ فرد في الأسرة حقوقاً و واجبات تتلاءم و استمرارية العلاقات الاجتماعية.

## * الأنموذج الخامس*

**قال الله تعالى:**

"وَمَنۡ يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا " (1)

إنّها تطمين لكلّ من لبس الإيمان بقلب خاضع لله سبحانه وتعالى أنّه ما من عمل يقوم به إلاّ و وافّاه الله حسابه كاملاً.

و تعددت القراءة في كلمة( يخافُ)،فقرأ ابن كثير بالجزم ( فلا يَخَفْ)،و قرأ الباقون بالضمّ (فلا يخافُ)

و قراءة الجزم تفيد معنى حرف اللام هنا (لا) التي تفيد النهي ،و التقدير :فلا تخفْ على الأعمال التي قمت بها أيُّها المؤمن ،و قد يحمل معنى الإخبار على الحقيقة بأنّ المؤمن يوم القيامة آمن لقوله تعالى:"أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ " (2)

لأنّ الذّي سيوفيك عملك يوم القيامة ليس ذلك الإنسان الذّي ربما تعودت أن يجحدك من عملك و يسلبك لمصلحته ،و لكنك ستقف بين يدي الله سبحانه وتعالى الغنيّ عنك وعن عملك فهو العزيز ،و يفيد معنى النهي تمجيدًا لله و تنزيهاً له عن بعض الصفات التي لا تليق به جلّ في علاه.

أمّا قراءة الرفع فقد رأى فيها النحاة نكتة ،حيث قالوا بأنّ الفاء ليس من مواضعها أن تقترن باللام في جواب الشرط فقالوا أنّ ثمة جملة إسمية محذوفة مقدرة كالآتي: فهو لا يخاف ويكون المعنى المتشكّل نفي الخوف عن المؤمن الذّي يعمل الصالحات.(3)

و لكن فيها لمحة أخرى و هو أنّ جواب الشرط محذوف ،و يكون المعنى أنّ المؤمن الذّي يعمل الصالحات عدم خوفه محقّق مقرّر ، فيكون المعنى على الإخبار.

و لكن بالتدبُّر العميق البعيد عن ضغط قواعد النحو نجد لمحة رائعة ،و هي أنّ قراءة الجزم تفيد إخبار المؤمن أنّه لن يخاف في المستقبل و هو واقف يوم القيامة بين يدي الله ،لأنّ الله سيؤمّنه من الفزع ،أمّا قراءة الرفع فهي تفيد الإخبار بأنّ هذا المؤمن يعيش مطمئن البال في الدنيا لقوله تعالى:"لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ " (4)

---

- (1) الآية (112)،سورة طه.
- (2) الآية (62)،سورة يونس.
- (3) مفتاح العلوم للسكاكي،تحقيق نعيم زرزور ندار الكتب العلمية،بيروت،الطبعة الثانية،1407هـ،ص218.
- (4) الآية (64)،سورة يونس.

## * الأنموذج السادس*

**قال الله تعالى:**

"إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ (1)

تبرز الآية الكريمة رحمة الله بعباده الذّين آمنوا إذ أنّه يدخلهم الجنّة و أسند الفعل إليه مبرزاً درجة تكريمه لهم و مقامهم عنده ،فالضيف الذّي يدخله صاحب القصر ليس كالذّي يدخله خدم ملك ذلك القصر و هذا من كرم الله سبحانه وتعالى،كما أنّها تبرز أنواع هذا التكريم الذّي يلقونه من ربّ العزّة إذ يزيّنهم بالحليّ رجالاً كانوا أو نساءً ،و قد تعددت القراءة في قوله تعالى (لؤلؤًا)،فقرأ عاصم ونافع بالنصب (لؤلؤًا) ،و قرأ الباقون بالكسر(لؤلؤ).

فأمّا قراءة النّصب فجاءت على سياق نصب الأساور ،و التقدير :يحلّون أساور و لؤلؤًا أمّا النكتة في زيادة (**من**) فيفسّرها **الطاهر بن عاشور** بقوله:"و **من** في **من أساور** ،زائدة للتوكيد." (2)

و لكن ما نشير إليه في زيادة (**من**) هو إبراز الأنواع المختلفة للأساور التي يتزينون بها ،فهي مختلفة الشكل و اللون و المادة كلٌّ حسب ذوقه ،و أنّه لكلّ يوم زينته التي تختلف عن سابقتها ،و لكلّ مجلس أساوره الخاصة به ،و هذا ما لمح إليه **الطاهر بن عاشور** حين قال إنّ الفعل (**يحلّون**) يدُّل على النعيم المتجدّد،فمرة أساور من ذهب و مرّة أساور من اللؤلؤ.

وعلى قراءة الجرّ (**لؤلؤٍ**)،فإنّ اللؤلؤ معطوف على الذهب و يكون تقدير المعنى :أنّ هذه الأساور مصنوعة من اللؤلؤ و الذهب معاً ،فيبرز لنا نوع جديد من الأساور التي يحلّون بها ،بالإضافة إلى أنّ لباسهم من الحرير.

إذاً فالقراءتان تفيدان إبراز النعيم المتجدّد في الجنّة التي وعد الله عباده.

---

- (1) الآية (23)،سورة الحجّ.
- (2) التحرير و التنوير،ج17/ص232.

## * الأنموذج السابع*

**قال الله تعالى:**

"وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ" (1)

تأتي هذه الآية الكريمة في مقام الردّ بالقسم المنسوب إلى النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم على الذّين كفروا و أنكروا قيام الساعة ملحقاً قسمه بالتعظيم لله عزّ وجلّ من خلال صفة (**عالم**) التي تعدّدت القراءة فيها،فقرأ ابن عامر و نافع بالرفع (**عالمُ**) ،و قرأ ابن كثير وعاصم و أبو عمرو (**عالمِ**)،و قرأ حمزة و الكسائي (**علاَّم**).

أما قراءة (**عالمِ**) فجاءت على أنّها بدل من قوله تعالى:"**ربي**" المجرورة بواو القسم ،أو على النعت لها.

و على تقدير كونه نعتاً فلابد من تقدير تعريفه ،لأنّ كلّ صفة يجوز أن تتعرّف بالإضافة إلى الصفة المشبهة[2] الدّالة على الثبوت ،و قد أفادت هذه القراءة إثبات صفة من صفات الله يقول **ابن عاشور**:" و في هذه الصّفة إتمام لتبيُّن سعة علمه." (3)

أمّا قراءة الرفع (عالمُ) فجاءت مقطوعة عمّا قبلها "ربّي" المجرورة بواو القسم ،في مقام المدح و التعظيم يقول **الفارسي**:"إذا قطعت صفات في معرض المدح أو الذّم ،فالأحسن أن يخالف في إعرابها..لأنّ المعاني عند اختلافها تتنوع وتتفنّن..." (4)

و ليس هذا الغرض منها فقط و إنّما توجيه ذهن القارئ إلى الصفة بالالتفات الحركي ،و لكنّه سبّق الرّد عليهم ثمّ ابتدأ بالتعظيم و هذا حتى يؤكد السابق باللاحق ،فألحقها بعلمه ليدلّل على أنّ عدم علمهم بها ليس دليلاً على عدم وقوعها.

أمّا قراءة (علاّم) على صيغة فعّال للدلالة عل التكثير ،أي أنّه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض و لا في السماء ،فعلمه أحاط بكلّ شيء فقد يكون الإنسان عالماً ولكنّه ليس علاّماً.

---

- (1) الآية (03)،سورة سبأ.
- (2) الدرّ المصون ،ج9/ص148.
- (3) التحرير و التنوير،ج22/ص142.
- (4) الإتقان في علوم القرآن ،للسيوطي،ج3/ص209.

لأنّ علمه محدود و هو لا يعلّم و لا يعلم إلاّ ما علّمه الله سبحانه وتعالى،و مع تظافر القراءات فيم بينها فإنّها تنتج كماً هائلاً من المعاني و الدلالات التي تصبّ كلّها في إعلام هؤلاء الجاحدين بأنّ علم الله واسع واقع محيط بكم أينما كنتم لقوله تعالى:" عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾ (1)

- (1) الآية (26-27-28)،سورة نوح.

## * الأنموذج الثامن*

**قال الله تعالى:**

" يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ (1)

تخاطب الآية الكريمة الجنّ و الإنس ،بأنّهم لن يستطيعوا النفاذ من أقطار السموات و الأرض هرباً من الله سبحانه وتعالى و عذابه.

و عن **ابن عباس** رضي الله عنه أنّه قال:"الشواظُّ هو لهب النّار." (2)

و قال أيضاً :"الشواظُّ الدُّخان"،و قال **الضحاك**:"شواظ من نار،سيل من نار."(3)

و في مسائل **ابن الأزرق لابن عباس** رضي الله عنهما عن الشواظ قال:"هو اللهب الذّي لا دخان معه" ثمّ سأله عن (**النحاس**) فقال:"هو الدُّخان الذّي لا لهب معه." و استشهد بقول الشاعر:

**يظلُّ يشبُّ كيراً بعد كيرٍ و ينفخ دائباً لهب الشواظ.** (4)

أمّا فيم يتعلق بالقراءات فقد تعدّدت في كلمة (نحاس) ،فقرأ ابن كثير و أبو عمرو بالخفض (نحاسٍ)،و قرأ الباقون بالرفع (نحاسٌ).

و على قراءة الخفض فإنّ المعنى المتولّد يبين عن تركيب الشواظ و تبيان صفاته الخارجية إذ أنّه يتشكل من النحّاس بالدرجة الأولى،و هذا النحاس ملتهب ذائب و هذا ما يشير إليه لفظ النّار،إنّ العذاب التي توعد به الله سبحانه وتعالى الإنس و الجنّ الذّين يظنون أنّهم سيفرون من العذاب حارق خانق.

و على قراءة الرفع فهنا يتجلى نوعين من العذاب،العذاب الأول نار حارقة خالية من الدخان تتلظى محرقة كلّ من يحاول الهرب،فإذا تجاوزوا هذا النوع يظهر عذاب آخر من الدخان الذّي يبعثه النُّحاس فيجعلهم يتلوون و يضطربون.

و الجمع بين القراءتين يحدث نوعاً من العمليات الكيميائية التي لا نراها إلاّ في المصانع و المخابر،فالقراءة الأولى توحي بذوبان النحاس عند بلوغه درجة الانصهار فيبدأ هذا العنصر الكيميائي في إطلاق الدخان،إذا فالقراءتين متكاملتين تكامل العملية الكيميائية.

---

- (1) الآية (35)،سورة الرحمن.
- (2) جامع البيان،ج27/ص141.
- (3) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية،أحمد بن محمد الخراط،ص 228.
- (4) الإعجاز البياني للقرآن و مسائل ابن الأزرق،عائشة عبد الرحمن،دار المعارف مصر،ص285.

## * الأنموذج التاسع*

**قال الله تعالى:**

"يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٞ ﴿٢٢﴾ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ﴿٢٣﴾ " (1)

إنّه تصوير حيّ للحياة في الجنّة ونعيمها ،حيث يشعر القارئ بتراتيل المؤمنين الجالسين على الأرائك و الغلمان يطوفون حولهم يلبون رغباتهم من شراب أو طعام،و قد تعددت القراءة في قوله تعالى:"وحور عين"،حيث قرأ حمزة و الكسائي بالخفض (وحورٍ عينٍ)،و قرأ الباقون بالرفع (وحورٌ عينٌ) ،و لكلّ قراءة مغزى ومعنى أفادته.

فقراءة الرفع فيها عطف على الولدان و يكون التقدير أنّ الولدان يطوفون بالأكواب و الأباريق،و في نفس السياق تطوف الحور العين عليهم،و هنا نوعين من النعيم و التنعّم ،نعيم حسي بما يناله المؤمن من الأطعمة و الأشربة اللذيذة ،ونعيم معنوي يناله البصر من جمال الحور العين، يقول **السمين:**" و هو للخدمة أبلغ،لأنّهم إذا خدمهم مثل أولئك فما الظن بالموطوءات؟" (2)
ورأى **مكي** بأنّ الحور العين لا يطاف بهنّ على المتنعّمين ،و إنّما قدّر العطف حملاً على المعنى ،فرأى بأنّ معنى يطوف عليهم ولدان مخلّدون بأكواب أي عندهم أكواب ،فيكون المعنى و عندهم حور.
و يرى **الفارسي** بأنّه يجوز عطفها على الضمير في (**متكئين**)[3]،في قوله تعالى:"مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾(4)،أي أنّهم متقابلين مع الحور العين على السرر و الغلمان يطوفون عليهم يخدمونهم،إنّه النعيم الذّي يطمح إليه كلُّ مؤمن كونه يلبي كلّ الرغبات البشرية.

أمّا قراءة الخفض فجعلت الحور العين معطوفة على الأكواب و الأباريق التي يطوف بها الولدان،فيكون التقدير أنّهم يطوفون بالحور العين على أهل الجنّة و قد أجاز **ابن كثير** هذا حين

---

- (1) الآية (17-18-19-20-21-22-23)،سورة الواقعة.
- (2) الدرُّ المصون،ج10/ص203.
- (3) الحجة في علل القراءات،ج6/ص257.
- (4) الآية (16)،سورة الواقعة.

قال:"أن يكون مما يطوف به الولدان المخلّدون الحور العين ،و لكن يكون ذلك في القصور."(1)
ولكن الأقرب هو ما أشار إليه الله بقوله تعالى:"حُورٌ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ " (2)

فالحور العين متكئين على الأرائك مع المؤمنين و الولدان يطوفون عليهم،و مع اجتماع القراءتين تبرز أنواع جديدة من النعيم الخالد .

- (1) تفسير ابن كثير ،ج13/ص362.
- (2) الآية (72-73-74-75-76)،سورة الرحمن.

## * الأنموذج العاشر*

**قال الله تعالى:**

"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ "(1)

إنّ الله سبحانه وتعالى غني عن النّاس أجمعين و هذا لمن ظنّ أنّه يحتاج للنصرة ،لأنّ المنطقي في الأمر أنّ الإنسان هو من يحتاج لنصرة الله بدعائه (**و انصرنا على القوم الكافرين**)،و قد تعددت القراءة في هذه الآية تعداد النصرة ،فقرأ ابن عامر و يعقوب و الكوفيون (**أنصارَ اللهِ**) ،و قرأ الباقون (**أنصاراً لله**) بالتنوين و لام الجرّ .

في القراءة الأولى إضافة لفظ الجلالة إلى الأنصار ،و قد ذكر **البيضاوي** في تفسيره أنّ معنى القراءة :"كونوا بعض أنصار الله." (2)

و يرى أغلب المفسّرين أنه لا فرق في الدلالة بين القراءتين و هذا ما لا تحتمله التغيرات على مستوى الحركات الإعرابية،و ما يمكن تجليته في هذه القراءة هو أنّ الله سبحانه وتعالى يدع الذين آمنوا لنصرة نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم ،فأضاف النبي و قدّره و أشار إليه بلازمة أخرى (**كما قال عيسى بن مريم من أنصاري إلى الله**)،وهذا تعميق للمعنى ورفع من شأنه لأنّ النصرة لله ليست كالنصرة لنبيّه محمد ،فذكرهم أنّهم ينصرون الله بنصرتهم لنبيّه ،كما أنّهم تعودوا على قولهم (**انصروا آلهتكم**)، و لكن النصرة هنا مختلفة فنصرة الأصنام لضعف ،و نصرة الله لقوة.

أما القراءة الثانية فهي دعوة من الحقّ للذين آمنوا ليكونوا أنصاراً ،و جاء التنوين للدلالة على ذلك أي البسوا صفة الأنصار ،و هذا العمل في سبيل الله سبحانه وتعالى.

و الجمع بين القراءتين فيه إشارة عميقة المعنى تتجلى حين نتدبّر العمل الذّي قام به الأنصار حين استقبلوا النبّي محمد صلى الله عليه و سلم و المهاجرين ،حيث تبدّت كلّ أنواع النصرة فهم نصروا محمد صلى الله عليه وسلم و نصروا الدين الإسلامي فأصبحوا أنصاراً لله.

---

- (1) الآية (14)،سورة الصّف.

- (2) تفسير البيضاوي ،للبيضاوي ،تحقيق :عبد القادر عرفات،دار الفكر ،بيروت،(1416هـ-1996م)،ج5/ص335.

# المبحث الخامس

# الإبدال في الحركات غير الإعرابية.

## *الأنموذج الأوّل*

**قال الله تعالى:**

" وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (1)

رأينا في مثال سابق استغراب **عزير** من قدرة الله على إحياء القرية ،فأراه الله سبحانه وتعالى آية البعث في نفسه إذ أماته مائة عام ثمّ بعثه ،و الأنبياء من البشر و الإنسان من طبيعته أنّ عقله محدود القدرة و كلّ ما لا يستطيع إدراكه هو من المستحيل لديه ،و لكن من يؤمن بقدرة الله لا يحتاج إلى الدليل للتصديق و لكن يتعجل المعرفة كما قال موسى :" **ربي أرني انظر إليك**"، و سيدنا إبراهيم عليه السلام سأل الله سبحانه ليريه كيف يحي الموتى و السؤال عن الكيفية ليس كالسؤال عن القدرة ،فهو يعلم أنّ الله قادر على ذلك و لكن الفطرة الإنسانية دفعته للسؤال فأراد الله منه أن يقوم بتجربة يرى من خلالها عملية البعث،إذ أمره أن يأخذ أربعة من الطير ثمّ يقطّعها و يمزج لحمها و يضع أجزاءها على رؤوس الجبال ففعل.

وتعددت القراءة في قوله تعالى" فصرهنّ"،حيث قرأ حمزة بكسر الصاد(صِرهنّ)،و قرأ الباقون بضمِّها (صُرهنَّ).

قال أبو جعفر:" اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والحجاز والبصرة:( فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ) بضمِّ الصاد من قول القائل:"صُرْت إلى هذا الأمر."(2) ،إذا ملت إليه ،"أصُورُ صَوَرًا"، ويقال:"إني إليكم لأصْوَر" أي: مشتاق مائل، ومنه قول الشاعر:

**اللهُ يَعْلَمُ أنَّا فِي تَلَفُّتِنَا يَوْمَ الفِرَاقِ إلَى أَحْبَابِنَا صُورُ.** (3)

و جاء في لسان العرب:" صار الرجل يصور عنقه إلى الشيء ،إذا مال نحوه بعنقه." (4)

---

- (1) الآية (260)،سورة البقرة.
- (2) جامع البيان ،ج3/ص 159.
- (3) المصدر نفسه،ج5/ص495.
- (4) لسان العرب،ابن منظور،مادة ( صرَّ )ج4/ص474.

والمعنى المستفاد أنّ الله طلب من سيّدنا إبراهيم توجيه الطير نحوه ،وهنا الفعل متعلق بالجزء لا بالكلّ و أقصد بالجزء هنا أعناق الطير ،فالإنسان في العادة إذا أراد ذبح طير مثلاً فإنّه يوجّه رأس الطير و عنقها نحوه ،إذاً فالقراءة الأولى تشير إلى المرحلة الأولى من عملية التعليم و التي يتم خلالها إزهاق روح الكائن.

أمّا فيم يتعلق بالقراءة الثانية (صِرهنّ)،فقد جاء في اللسان قوله:"صار يصير،و صرتُ الشيء قطَّعته." (1)، و الجار المتأخر موضعه التقديم و المعنى:" خذ أربعة من الطير إليك فصِرهنّ"،أي قطِّعهنّ ،عن مجاهد أنّه قال:( فصِرهنَّ إليك ) أنتفهن بريشهن ولحومهن تمزيقًا، ثم اخلط لحومهن بريشهن."(2)

و التقطيع يشير إليه السياق من خلال قوله تعالى:"**ثمّ اجعل على كلّ جبل منهنّ جزءً**"،فهذا دليل على تمزيق سيّدنا إبراهيم للطير قبل وضعها على رؤوس الجبال،و هي المرحلة الثانية من عملية التعليم،فبعد ذبح الطير قام سيدنا إبراهيم بتجزئتها ثمّ مزج بين لحمها و ريشها و وزّعها على الجبال،لتأتي المرحلة الأخيرة و هي أن يدعوهنّ لتظهر قدرة الله سبحانه وتعالى و تتراكب الأجزاء بعضها إلى بعض وتعود الطير كما كانت أول مرّة،و كما بعث الله هذه الأطيار من هذه الجبال الأربعة، كذلك يبعث الله الناسَ يوم القيامة من أرباع الأرض ونواحيها.

و الموازنة بين القراءتين تبرزان معنى التكامل بينهما من خلال إعطاء صورة متحرّكة لما قام به سيّدنا إبراهيم عليه السلام و الفرق فقط في حركة الكسر و الضّم.

---

- (1) اللسان،مادة (صرّ )،ج4/ص478.
- (2) جامع البيان،ج5/ ص503.

## * الأنموذج الثاني*

**قال الله تعالى:**

"۞ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ " (1)

إنّ درجة الإلحاد و الكفر التي بلغها أعداء الإسلام جعلتهم لا يصدّقون بأي آية لو كانت عظيمة لأنّ الله ختم على قلوبهم لقوله تعالى:"وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ " (2)

و هناك الكثير من الآيات الدالة على عنادهم منها قوله تعالى:" **وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ" (3)**

**و** قوله تعالى:"وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ " (4)

و جاء الشرط منفياً و في هذا تسلية للنّبي محمد صلى الله عليه وسلم الذّي أرهق نفسه رأفة بهم لقوله تعالى:"فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا " (5)

وتعددت القراءة في كلمة(قبلا)،فقرأ ابن عامر ونافع (قِبلاً)، و قرأ الباقون(قُبُلاً).

وعلى قراءة الضمّ ثلاث دلالات أدرجها الطبري في تفسيره:

– أحدها أن يكون"القُبل" جمع"قَبيل"، كالرُّغُف التي هي جمع"رغيف"(6)،و يكون المعنى الضُماء و الكُفلاء أي اللذّين يضمنون لهم وعد الله.

– و الوجه الآخر: أن يكون"القُبل" بمعنى أمامهم، من قول القائل:"أتيتُك قُبُلا لا

---

– (1) الآية (111)،سورة الأنعام.

– (2) الآية (88)،سورة البقرة.

– (3) الآية (93)،سورة الإسراء.

– (4) الآية (15/14)،سورة الحجر.

– (5) الآية (06)،سورة الكهف.

– (6) جامع البيان،ج12/ص48.

دُبُراً إذا أتاه من قبل وجهه."(1).لقوله تعالى:"قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ " (2) أي من الأمام.

– و الوجه الثالث: أن يكون معناه: وحشرنا عليهم كل شيء قبيلةً قبيلةً، صنفًا صنفًا، وجماعة جماعةً، فيكون"القبل" حينئذ جمع قبيلة.(3)

و المشترك بين هذه الدلالات البارزة من قراءة واحدة يعطي المعنى الموالي:لو جمعنا لهم أصناف الآيات أمامهم ،و ضمنّ بها وعدنا لهم ما كانوا ليؤمنوا.

أمّا قراءة الكسر (قِبلاً) فيبيّنها قوله تعالى:"۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ" (4)، تتجهوا نحو القبلة فيكون معنى قِبلاً :مواجهةً.

ومن خلال الجمع بين القراءتين يبرز معنى من المعاني السامية التي تبيّن أنّ المشركين قد فقدوا حاسة البصر بل و صاروا يشكون فيما يرونه لقوله تعالى:" **لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ**"(5) ، و لو أتاهم الرسول صلى الله عليه و سلم بكلّ آية و عرضها أمامهم مواجهةً لهم فإنّهم لن يؤمنوا.و سنقوم بتوزيع الدلالات على الآيات الربانية:

– الملائكة ← جماعاتٍ جماعاتْ ينذرونهم وعد الله.

– الموتى ← الكُفلاء و الضمناء اللذّين رأوا ما وعدهم الله فأحياهم ليبلغوا المعرضين بما رأوا.

– حشرنا عليهم كلّ شيء ← أمامهم و مواجهةً لهم.

فنجد أنّ كلّ نوع من الآيات التي ذكرها الله تقابلها دلالة من الدلالات التي تعطيها القراءتين.

---

– (1) بتصرف،جامع البيان ج12/ص 48.

– (2) الآية (26)،سورة يوسف.

– (3) جامع البيان،ج12/ص49.

– (4) الآية (177)،سورة البقرة.

– (5) الآية (15)،سورة الحجر.

## * الأنموذج الثالث*

**قال الله تعالى:**

"وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالاً سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ "(1)

يمنّ الله على عباده بشتى أنواع النعم و التي ربما لا يدركها الإنسان أو هو غافل عنها كما غفل عن ذكر الله ،و هذه الآية تتفضّل علينا بسوق جندي من جنوده الذّي لو شاء جعله عذاباً لقوله تعالى:" وَأَمَّا عَادٌ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦ " (2)،و لو شاء جعله رحمة كما في هذه الآية.

و قد تعددت القراءة في كلمة (نشراً)،فقرأ ابن عامر (نُشْراً)،و قرأ ابن كثير و أبو عمرو و نافع (نُشُرًا)،و قرأ حمزة و الكسائي (نَشْرًا)،و قرأ عاصم (بُشْراً).

و نبدأ بقراءة عاصم (بُشراً) وهي مشتقة من البشرى ،و البشير من يأتي بالخير لقوله تعالى:"فَبَشِّرْ عِبَادِي"،و لكن هل رياح بشير ؟

أشارت الحقائق العلمية أنّ الرياح تلعب دوراً أساسياً في الدورة المائية لقوله تعالى:" ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبۡسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ " (3)

و السحاب المقصود في الآية هو بخار الماء المتشكّل من البحار و المحيطات و الذّي تنقله الرياح إلى طبقات الجوّ "فيبسطه في السماء"،وتتراكم السحب فتصبح داكنة اللون "كسف"،فتنعقد تلك الأبخرة من جديد لتصبح قطرات ماء لا يقوى الهواء على حملها فتنزل غيثاً "الودق"،لذلك نجد النّاس إذا هبّت ريح فإنّهم يستبشرون بالغيث فتكون الريح هنا بمثابة البشير،و عاد لما هبت الريح:" قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ" (4)

---

- (1) الآية (57)،سورة الأعراف.
- (2) الآية (06)،سورة الحاقة.
- (3) الآية (48)،سورة الروم.
- (4) الآية (24)،سورة الأحقاف.

فهم استبشروا بما ألفوا أنّه يأتي بالخير و لكن لما عصوا أمر ربّهم أهلكوا.

أمّا قراءة (نشْرًا) فهي من النشر بمعنى البعث و الإحياء و كأنّها أحيت شيئاً ميتاً و هذا ما ينقله لنا قوله تعالى:" وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝" (1)

فالرياح هي سبب في نزول الغيث الذّي تحيا به الأرض، و حياة الأرض بأن تنبت النبات فتصبح مخضرةً زاهيةً بألوانها بعدما كانت مقفرةً.

و قد تعني هذه القراءة (النَشْرُ) بمعنى الإرسال و الانتشار ،و كأنّ الرياح كانت مطوية ثمّ نشرت.

و أمّا قراءة (نُشُراً) فهي جمع ناشر مثل شاهد شُهد.(2)،قال أبو عبيد:" الريح النشور هي التي تهبّ من كلّ جانب،وتجمع السحابة الممطرة."(3)

و كأنّها إشارة إلى المبالغة في فعل النشر كون الرياح تأتي من جهات مختلفة ،و ربما فيها إشارة إلى أنواع الرياح الموسمية و الدائمة و المحلية وغيرها،و قد تدلّ على السرعة في حركتها.

أمّا قراءة (نُشْراً) فهي مخففة من قراءة (نُشُراً) ،مبرزة خفة الرياح في نقلها للسحاب ما ناسبها التخفيف من الضمّ إلى التسكين.

و الموازنة بين فيض القراءات يوحي بحركية الرّياح التي يرسلها الله سبحانه وتعالى ناشرة للسحاب، باعثة للحياة،مبشّرةً النّاس بالخير.

- (1) الآية (05)،سورة الحج.
- (2) الإعجاز البياني في ضوء القراءات ،ص 257.
- (3) الكشف عن وجوه القراءات ،لمكي بن أبي طالب،تحقيق محي الدين رمضان،دار الرسالة بيروت،ج1/ص465.

## *الأنموذج الرابع*

**قال الله تعالى:**

"وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾" (1)

سورة التوبة هي سورة جمعت بين طياتها كلّ صفات المنافقين محذّرة اللذّين آمنوا من مكرهم و ألاعيبهم التي تعودوا القيام بها ،و المنافق هو من أظهر الإيمان و أخفى الكفر و الفسق و هم أشدّ على الدعوة الإسلامية من اليهود و المشركين ،ومن بين الصفات الواردة في الآية أنّهم ينكثون الأيمان لقوله تعالى:"ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢﴾"(2)

و تعددت القراءة في كلمة (أيمان)،فقرأ الجمهور بفتح الهمزة و قرأ ابن عامر بكسرها.

و على قراءة الجمهور (أَيْمَانَ)،وهي جمع تكسير **ليمين** ،**و اليمين** هو القسم و الحلف و العهد،لقوله تعالى:" يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ (3)

ولكن في الآية تقرير لحقيقة و نفي لها في نفس الوقت ففي البداية أثبت أنّ لهم أيمان ثمّ نفى الأمر عنهم،كيف ذلك؟

أجاب **الزمخشري** قائلاً:"أراد أيمانهم التي أظهروها."(4)

فالمنافق يخادع اللذّين آمنوا بلسانه لقوله تعالى:"۞ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ" (5)،متناسياً أنّ الله مطلع على قلبه لقوله تعالى:"يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾"(6)

---

- (1) الآية (12)،سورة التوبة.
- (2) الآية (02)،سورة المنافقون.
- (3) الآية (62)،سورة التوبة.
- (4) الكشّاف للزمخشري ،ج2/ص251.
- (5) الآية (04)،سورة المنافقون.
- (6) الآية (09)،سورة البقرة.

و الظاهر من الآية فيه تبيان للذّين آمنوا من أنّ الإتيان باليمين دون العمل بها هو نفاق وجب محاربته و هذا حتى لا يشتبه الأمر عليهم فيظنون أنّهم يقاتلون إخوانهم ،إنّما هم يقاتلون رؤوس الكفر التي تدسُّ سمومها بين الصفوف للتفريق بينها،و هذه القراءة أفادت حكمة بالغة الأهمية تمثلت في الإشارة إلى محلّ اليمين الصادق ألا و هو القلب و الذّي لا يطلع عليه إلاّ الله ، محذّراً المنافقين من عذاب أليم ومنبهاً المؤمنين من مغبّة الانجراف وراء أكاذيبهم.

و على القراءة الثانية (إِيمَانَ) ،و الإيمان ضدُّ الكفر و هنا نفي تام قاطع بلا النافية للجنس من أنّهم دخلوا محيط الإيمان أو دخل الإيمان قلوبهم لقوله تعالى:"وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ " (1)

و الإيمان من الأمان و هو الطمأنينة التي هي ضدّ الخوف لقوله تعالى:"لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ۝١٠ "(2

فهم لا يؤمّنون أحداً و لا يحفظون أحداً مهما كان.

ولكن ما العلاقة بين القراءتين أي بين الأيمان و الإيمان؟

الإيمان هو ما وقر في القلب و صدّقه العمل ،و اليمين هي أسلوب لغوي مجسّد لدافع نفسي يحاول من خلاله الإنسان أياً كان أن يثبت حقيقة لشخص آخر رأى أنّه يشك في أقواله ،لأنّ الأفعال التي يقوم بها لا تتناسب و الأقوال التي يقولها و هو ما يسمى بالكذب ،ولكن الكذب إذا ارتبط بحقيقة عقائدية أصبح مرضاً نفسياً يسمى "النفاق" ،و الذّي قد لا يدركه الإنسان لدرجة تلبسه بالحقيقة.

ما نخلص إليه من خلال القراءتين أنّ الله نفى عنهم الأسلوب الذّي تخفوا وراءه وهو (الأيمان) حتى يدرك المؤمن بفراسته نفي الإيمان عنهم فيحذرهم،حيث فضحهم الله سبحانه وتعالى بقوله:"يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ " (3)

---

- (1) الآية (14)،سورة البقرة.
- (2) الآية (10)،سورة التوبة.
- (3) الآية (64)،سورة التوبة.

## * الأنموذج الخامس*

**قال الله تعالى:**

"وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ (1)

اختار الله سبحانه وتعالى عباداً له ليكونوا أئمة للنّاس ،و هم الأنبياء و المرسلون خصّهم بصفات تتناسب و الوظيفة التي أوكلت إليهم كالصبر و الصدق و الأمانة حتى يكونوا قدوة لغيرهم ،و هذه الآية التي بين أيدينا تجسّد تلك الحقيقة التي تجمع بين البشرية و النبوة ،فسيّدنا يوسف عليه السلام تعرّض لابتلاء شديد مسّ بشريته حيث راودته زوجة ملك مصر محاولة إيقاعه في الرذيلة التي لا تتناسب و النبوة.

و تعدّدت القراءة في كلمة (المخلصين)،فقرأ ابن عامر و ابن كثير و أبو عمرو "المخلِصين"بكسر اللام،و قرأ الباقون "المخلَصين" بفتح اللام.

و على قراءة الفتح التي جاءت على صيغة اسم المفعول المشتق من غير الثلاثي "أخلص"،جاء في لسان العرب:"أخلص الشيء اختاره."(2)

فتكون المخلَص بمعنى المختار المصطفى لقوله تعالى:"لَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ"(3)

فلحكمة لا يعلمها إلاّ الله سبحانه وتعالى سبق في علمه من هم أصحاب الرسالات ،حيث اصطفاهم من بين الخلائق وجهزهم لهذه المهام بما شاء.

أمّا قراءة الكسر فقد جاءت على صيغة اسم الفاعل من نفس الفعل "أخلصَ"،و المخلِص هو الذّي ينتقي خيار الأمور في كلّ شيء ،وتعني أيضاً من يصفّي الشوائب،فيكون المعنى من المخلِصين الذّين يتوجهون إلى الله سبحانه وتعالى بخير العبادات و أفضلها و يصفون قلوبهم من شوائب الكفر و الشرك والنفاق ،فأخلصوا لله أعمالهم.

و بالموازنة بين القراءتين تتجلى صفة الإخلاص التي اختصّ الله بها أنبياءه فهم مخلَصين بالرسالات مخلِصين في تأديتها على أكمل وجه فناسبت القراءة الأولى القراءة الثانية.

---

- (1) الآية (24)،سورة يوسف.
- (2) اللسان، مادة (خلص)،ج7/ص26.
- (3) الآية (32)،سورة الدخان.

## * الأنموذج السادس*

**قال الله تعلى:**

"وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ " (1)

تطاول الكفار في كلّ شيء ،و بلغوا مبلغاً عظيماً في التطاول على الله سبحانه وتعالى فجعلوا لله البنات كذباً و افتراءً عليه سبحانه.

و هذه الآية التي بين أيدينا تصف واقعهم المستهزئ بعظمة الله و جلاله ،فكانت لهم النّار جزاءً بما كانوا يقولون ،و تعددت القراءة في قوله"مفرطون"،فقرأ نافع (مُفْرِطُون)،و قرأ أبو جعفر (مُفَرِّطُون)،و قرأ الباقي من السبعة (مُفْرَطُون).

و الكلمة مشتقة من مادة **فرط** ،جاء في لسان العرب:" فرط الفارط: المتقدِّم السابق قال أعرابي للحسن:علمني ديناً وسوطاً ،لا ذاهباً فروطاً ،و لا ساقطاً سقوطاً ،أي ديناً متوسطاً لا متقدّما بالغلو و لا متأخرا."(2)

و قد تعني **الإسراف** :"يقال فرط عليه في القول:أي أسرف."(3)

و قراءة نافع جاءت على صيغة اسم الفاعل "مُفرِط"،و تعني المسْرف ،و المفرِطون هم الذّين أسرفوا على أنفسهم بالذنوب المعاصي و أكثروا منها قال الطبري:" مُفرِطون في الذنوب و المعاصي،مسرفون على أنفسهم." (4)

و على قراءة أبو جعفر التي اشتقت من الفعل فرَّط الذي يعني ضيَّع و قصَّر،و المفرِّطون هم المقصِّرون في عبادة الله لقوله تعالى:"أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ "(5)

أي تتحسّر على ما ضيّعت من العبادات و الأعمال التي كانت ستنجيها من عقاب الله.

---

- (1) الآية (62)،سورة النحل.
- (2) اللسان مادة (فرط)،ج11/ص163.
- (3) اللسان،ج11/ص 164.
- (4) جامع البيان ،ج14/ ص129.
- (5) الآية (56)،سورة الزُّمر.

أمّا قراءة (مُفْرَطون) التي مفردها مُفْرَط :معناه المقدّم ،حيث تقول العرب:"أفرطنا فلاناً في طلب الماء،إذا قدّموه لإصلاح الدّلاء و الأرشية ،وتسوية ما يحتاجون إليه عند ورودهم عليه ،فهو مُفْرط." (1)

فيكون معنى القراءة المقدّمون إلى النّار لأنّهم يستحقونها .

و تعني هذه القراءة أيضاً "المنسيّون"، قال **الكسائي** :"ما أفرطت من القوم أحداً،أي ما تركت."(2)

فهم نسوا الله فنسيهم ،ليس نسيان غفلة و لكن نسيان الخلود في النار.

من خلال الجمع بين الدلالات المتردّدة بين القراءات الثلاث نجدها تصف لنا صورة حسية مركبة تركيباً مزجياً يوافق ظاهر الآية ،و العجيب في الأمر هو أنّ القراءات الثلاث لا نجد بينها أدنى تناقض أو اختلاف بل صورة من التكامل المعجز إعجاز القرآن الكريم ،فالمفْرط في الذنوب و المعاصي و الطغيان و الكفر و التطاول على جلال الله بطبيعة الحال هو مفرِّط في حقّ الله و آداء واجبه اتجاهه فكان جزاءه أنّه ممن يساقون على رأس الخلائق إلى النّار ليخلد فيها أبداً.

---

- (1) جامع البيان ،ج14/ص129.
- (2) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية،ص267.

## * الأنموذج السابع*

**قال الله تعالى:**

"إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ (1)

تميّزت الأقوام السابقة بشدة تعنتها و رفضها جملة و تفصيلاً لما جاء به الأنبياء و المرسلون خاصة فيم تعلّق بالخلق و الخالق ،فهذا هود قد أتى قومه يذكّرهم بما هم فيه عارضاً أمامهم نعم الله و عطاياه،ولكنّهم أصرّوا مستكبرين رافضين التخلي عما كان عليه آباءهم و أجدادهم فأجابوه بالآية الكريمة التي تعدّدت فيها القراءة في كلمة (خلق)،فقرأ ابن عامر و عاصم و حمزة و نافع بالضمّ (خُلُق)،و قرأ ابن كثير و عمرو و الكسائي (خلْقُ).

جذر الكلمة مكون من ثلاثة أحرف الخاء و اللام والقاف وتعني:" ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه." (2) ،و قال **ابن الأنباري**:"الخلق في كلام العرب على وجهين:الإنشاء على مثال أبدعه،و الآخر التقدير." (3)

و قيل أنّها تعني الدين و استشهدوا بقوله تعالى:" فليغيّرنّ خلق الله" أي دين الله.

فأمّا القراءة الأولى (خُلُق) ،فهي تعني العادة (4)،و على هذا كانت إجابتهم لنبيّهم من أنّ الأمر الذّي هم فيه هو إتباع لما أبدعه آباءهم ،و لكن القراءة تسير على محورين أولهما قصدوا ما كان يكلّمهم حوله هود من الأبنية و غيرها من الفنون التي عرفت عنهم ، و المحور الثاني أنهم قصدوا دين الضلال الذّي كانوا عليه.

يرى **ابن كثير** أنّ قصدهم سار على المحور الثاني أي دينهم الذّي كانوا عليه هو دين أجدادهم و لم يبتدعوا شيئاً من تلقاء أنفسهم فهم سائرون على ما سار عليه الأولون يعيشون كما عاشوا و يموتون كما ماتوا لا بعث و لا حساب كما قال الله تعالى:" قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ " (5)

---

- (1) الآية (137)،سورة الشعراء.
- (2) اللسان مادة (خلق)،ج5/ص 140.
- (3) المصدر نفسه،ص 140.
- (4) الموضح في وجوه القراءات و عللها القراءات،ج2/ص 944.
- (5) الآية (10)،سورة إبراهيم.

و قد رأى ابن عاشور أنها سجاياهم و طبائعهم التي ورثوها عن أجدادهم بخيرها و شرها.

أمّا القراءة الثانية (خلْقُ)،جاء في لسان العرب أنّ معناها كذب الأولين و افتراءهم قال الفراء:" من قرأ خلْقُ الأولين أراد اختلاقهم وكذبهم،و من قرأ خُلُق الأولين أراد عادة الأولين."(1)

يقول الحقُّ سبحانه وتعالى:"مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْأَخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ۝٧" (2)،أي كذب و افتراء لا أساس له من الصّحة.

و المعنى الثاني لهذه القراءة الإنشاء و التكوين لقوله تعالى:" إنّ في خَلْق السموات و الأرض"،و المعنى خُلقنا كخلقهم ،و ما هذا الذّي نحن فيه إلاّ استمرارية للحياة و تعاقب للأجيال.

و قد نضيف معنى آخر إلى المعاني النابعة من اللفظة ،و هي أنّ في القراءة مدح و تعظيم لأنفسهم من أنّهم هم من أوجدوا هذه النعم التي يتمتعون بها و هنا نفي لفضل الله عليهم لأنّهم أصلاً لا يعترفون بوجوده.

و من خلال الجمع بين القراءتين تتجسد أمامنا نفسية ذلك الإنسان الذّي عاش في زمن هود عليه السلام ،نفسية لا يمكن أن تنفصل عن موروث الماضي الذّي يمثل بالنسبة إليها دافعاً قوياً للاستمرار،كما تجعلنا نتصور ذلك الإنسان و هو متمسّك بمورثه محاولاً الدفاع عنه بشتى الطرق حتى لو كانت براهين واهية لا علاقة لها بما جاءهم به نبيّهم ،و في نفس الوقت تعرض لنا التناقضات التي يعيشها من خلال استظهار دلالة (الافتراء و الكذب)،فرغم عدم قدرته على ترك عادة أجداده إلاّ أنّه يدرك أنّ فيها شكاً،و هذا ما تعرضه لنا الموازنة بين القراءتين.

---

- (1) اللسان ،مادة (خلق)،ج5 /ص 141.
- (2) الآية (07)،سورة ص.

## * الأنموذج الثامن*

**قال الله تعالى:**

" وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ (1)

تتجلى آيات الله على عباده في كلّ حركة و سكون ،و لكن الإنسان الغافل لا يدرك ذلك إن لم تحدثه عن هذه الآيات ،لذلك نجد في القرآن الكريم أنّ الحقّ سبحانه وتعالى في كلّ مرة يذكّرنا بها لعلنا نتدبّر آياته فنزداد إيماناً وتسليماً ،و هذه الآية هي سياق للألوهية الحقّة التي تبرز خلق الكون و الإنسان ،و لكن لا أحد تجرأ و قال في يوم ما أنّي خالق الكون أو خالق الإنسان فلمن يتوجه هذا الخطاب؟

إنّ هذه الآيات لا يراها كلّ النّاس ،بالبصيرة الحيّة التي تميّز بين الحقّ و الباطل،لذلك نجد في القراءة قد تعددت في كلمة(العالمين)،فقرأ عاصم بكسر اللام (العالِمين)،وقرأ الباقون بفتحها (العالَمِين)،فأي دلالة أنتجت من خلال هذا التغير؟

قراءة الفتح (العالَمين)،فيها إطلاق للخطاب الذّي يتوجه إلى عالم الإنس و الجنّ بما أنّهم أهل التكليف لقوله تعالى:"وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ (2)

وهذه الحقيقة تبيّن عدل الله سبحانه و تعالى ،العدل المطلق الذّي لا يشوبه مثقال ذرّة من التطفيف،حيث عرض هذه الآيات لكلّ شاهد و لم يخفها عن أحد ،يراها العالم و الجاهل ،و الصغير و الكبير ،و المشرك و المؤمن ،و كلّ الطوائف الإنسانية التي تدرك الحقائق بالعقل.

كما أنّ فيها لفتة عظيمة تبيّن وحدانية الله و قدرته و رحمته ،وحدانيته لأنّ الخطاب من الخالق إلى المخلوق،و قدرته لأنّ الآيات عظيمة ،و رحمته لأنّه لو شاء أخفاها عن خلقه.

أمّا قراءة الخفض (العالِمين)،ففيها تخصيص للخطاب وحصر له لأنّه موجّه للعلماء ،و لكن بما يتميز هؤلاء عن غيرهم من البشر؟

تسرد لنا الآيات التالية الإجابة ،يقول الله تعالى:" وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ " (3)

---

- (1) الآية (22)،سورة الروم.
- (2) الآية (56)،سورة الذاريات.
- (3) الآية (43)،سورة العنكبوت

و في قوله تعالى:"إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾" (1)

و قوله تعالى:"۞ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾" (2)

فالعالم المقصود في الآية ليس العالم المتخصص بمفهومنا الحالي ،و لكن هو من يعتمد على العقل و التفكّر لإدراك الحقيقة التي تقوده على معرفة الله عزّ وجلّ فيتعلمها و يعلّمها،و أهل العلم مقامهم رفيع عند الله سبحانه وتعالى لأنّهم أكثر إيماناً.

و من خلال الجمع بين القراءتين نجد أنّ فيهما دعوة لجميع الخلق من أجل التفكر في آيات الله كلّ حسب ما أوتي من المعرفة ،كما أنّ فيهما إبرازاً لقيمة العلم الذّي يقود الإنسان إلى معرفة الله و عظمته ،و فيهما أيضاً دعوة للعلماء من اجل إعلام وتعليم النّاس كيفية التفكر.

---

- (1) الآية (164)،سورة البقرة.
- (2) الآية (219)،سورة البقرة.

## * الأنموذج التاسع*

**قال الله تعالى:**

"وَمَا يَنظُرُ هَـٰؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ "(1)

عدّد الحقُّ سبحانه وتعالى في سياق الآية أقواماً جحدوا بالأنبياء و الرسل و كذّبوهم ،ومن خلال أسلوب الآيات السابقة لهذه الآية يظهر معنى التقريع و الوعيد بالعقاب ،ومن أنواع العقاب الصيحة الربانية التي لا يدرك عظمتها إلاّ خالقها،صيحة يصعق فيها من في الأرض إلاّ من شاء الله لقوله تعالى:"إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ "(2)

و علينا أن نميّز بين صيحة البعث و صيحة الموت ،فهؤلاء الأقوام تعجّلوا العذاب فتوعدهم الله سبحانه وتعالى بصيحة الموت،و قد تعددت القراءة في كلمة (فواق)،فقرأ حمزة و ألكسائي بضمّ الفاء (فُواق)،و قرأ الباقون بالفتح (فَواق)،فأي دلالة نتجت عن ذلك؟

قال **أبو عبيدة:**" من ضمّ القاف جعلها من فُواق الناقة ،و هو ما بين الحلبتين."(3)

و هو الوقت المستقطع الذّي تأخذ فيه الناقة راحتها و تجدد الحليب في ضرعها.

و من فتح (فَواق)،فهو من الاستفاقة ،جاء في لسان العرب:" كلّ مغشي عليه أو سكران معتوه إذا انجلى عنه ذلك قيل:قد أفاق و استفاق."(4)

و قال ابن مجاهد:" ما لها من فَواق،أي رجوع."(5)

من خلال الموازنة بين القراءتين نستجلي الدلالات التالية:

من قرأ على الضمّ كان تبياناً لسرعة العذاب ،فلا فترة للراحة أو الانتظار أو تجديد النشاط.

ومن قرأ بالفتح كان المعنى الأقرب هو عدم الرجوع ،كما أنّه لا يهيأ لهم وقت يستفيقون فيه من العذاب ،بل هو عذاب مستمر متوالي.

---

- (1) الآية (15)،سورة "ص".
- (2) الآية (53)،سورة "يس".
- (3) مجاز القرآن ،لأبي عبيدة،تحقيق محمد فؤاد،مصر مكتبة الخانجي،ج2/ص179.
- (4) اللسان،مادة(فواق)،ج10/ص318.
- (5) الحجة في وجوه القراءات و عللها،ابن أبي مريم،ج6/ ص66.

## * الأنموذج العاشر*

**قال الله تعالى:**

" ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ " (1)

قال **أبو علي:**" المعنى أنّه لما نزل:"إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ " الأنبياء (98)،قال المشركون:"وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ " الزخرف (58)،أي إن كانت آلهتنا حصب جهنّم –لأنّها اتخذت آلهة و عبدت– فعيسى في حكمها،قال الله تعالى:"و لما ضرب عيسى بن مريم مثلاً"،في هذا الذّي قالوه:"إذا قومك منه يصدون"،أي يضجون لما أتوا به عندهم في تسويتهم بين عيسى عليه السلام و بين آلهتهم." (2)

هذا عن سبب النزول ،و لكن القراء تعددت قراءتهم لكلمة (يصدون) ،فقرأ ابن عامر و نافع و الكسائي بالضمّ (يصُدُّون)،و قرأ الباقون بالخفض (يصِدُّون).

فأمّا قراءة الضمّ فهي من الإعراض و المنع لقوله تعالى:" وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ "(3)،أي منعهم بإعراضهم عن إتباع الصراط المستقيم.

تبيّن هذه القراءة موقف قريش وشدّة جدالهم للحقّ و مخاصمتهم له و هذا من باب الإعراض و الصدّ عن الاستماع للقرآن.

و على قراءة الخفض (يصِدُّون)،جاء في لسان العرب قوله:" استغرب ضحكاً." (4)

و قد شرحها مكي بقوله:" يَضجُّون"(5)،أي ترتفع لهم جلبة وضجيج بالضحك من سماعهم لقول **ابن الزّبَعْرى** الذّي ردّ على النبيّ محمد ،فكثيراً ما كانت قريش تسخر من القرآن،و هذا حال الذّي يجادل من غير علم ولا هدى و لا كتاب مبين ،يحاول التعلق بأدنى سبب من أجل الاستهزاء

---

- (1) الآية (57)،سورة الزخرف.
- (2) الحجة في علل القراءات السبع،لأبي علي الفارسي،ج4/ ص316.
- (3) الآية (24)،سورة النمل.
- (4) اللسان مادة (صدد)،ج3/ص246.
- (5) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية،ص 303.

بالآخر،فهم ظنوا بأنّهم غلبوا النّبي صلى الله عليه و سلم بحجتهم الواهية التي أتوا بها ظانين بأنّ في القرآن تناقض و هذا من جهلهم.

ومن خلال الموازنة بين القراءتين تتجلى آية من آيات الله التي لو أدركها هؤلاء القوم ما تحركت شقاشقهم بالسخرية ،حيث تصوران معاً نفسية مريضة تعودت على إنكار الحقّ و الصدّ عنه و في نفس الوقت هي ضعيفة تتخذ من الاستهزاء غطاءً لضعفها، كما تحاول جعل النّاس ينصرفون عن الحقّ من خلال إحداث الجلبة حتى لا يُسمع للنبي صوت.

# الخاتمة

لقد أنار الله سبحانه وتعالى بصائر العلماء ليستنبطوا الحكمة من تعدّد القراءات ،التي لطالما كانت مقتصرة على حصر القراء و تصنيفها.إنّ آيات القرآن الكريم لم تبقى يوماً جامدة دون حركة أو تحريك لمسامع القراء و مشاعرهم ،و ما القراءات القرآنية إلاّ آية من هذه الآيات الإعجازية التي أظهرها الحقّ سبحانه وتعالى بعدما تعالت أصوات من بؤر الكفر و الإلحاد تنادي بالطعن في مصداقية كتاب الله الذّي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه.

و كان من أهم النتائج التي خرجت بها هذه الدراسة ما يلي:

1- أنّ القراءات القرآنية من أهم الدلائل التي يمكن أن يستفيد منها الباحث المحقّق في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم،باعتبارها وجهاً من أوجه الإعجاز الذّي يجمع بين كلّ العلوم،كما أنها تتقبل جميع التوجهات التي لا تخرج عن المعنى المراد و المقصود،بالإضافة إلى أنّها لم تكن يوماً واقعاً بل هي مثال و قدسيتها كقدسية القرآن الكريم.

2- أنّ مصطلح الاختلاف ليس المصطلح المناسب للتعبير عن التكامل بين القراءات،إذ ظهر من خلال العمل التطبيقي أنّ كلّ القراءات الصحيحة متكاملة فيما بينها لذلك من الواجب توجيه هذا المصطلح إلى مصطلح أكثر تعبيراً عن هذا التكامل ،و هو مصطلح "**التعدّد**".

3- القراءات القرآنية هي حكم عدل بين مذاهب النحويين المختلفة ،فقد يعتري قاعدة نحوية نقصاً من أحد جوانبها فتأتي القراءة لتسدّ ذلك النقص ،كما يمكن اعتبارها الموازن الرئيسي و المنبع الأصيل الذّي لا يعتريه شكّ من أجل بناء نحو قرآني جديد خاضع للقرآن و ليس العكس.

4- اتخذت مدرسة الكوفة من القراءات سلاحاً ضدّ من يحاول الطعن في قواعدها باعتبار أنّ هذه الأخيرة مستمدة من كلام الله و ليس كلام البشر الذّي ربما يخضع للحاجة البشرية فيميل القاعدة و يتجاوزها ،و هذا ما لم يستفد منه البصريون حيث حاولوا إخضاع القراءات الصحيحة لقواعدهم ،و ما لم توافق قاعدتهم اعتبروها من الشاذ أو الضعيف و هذا من التعدّي على قدسية النّص القرآني.

5- لم ترتق الدراسات الصوتية الموازنة للقراءات القرآنية إلى المستوى المطلوب فكانت مجرّد طرقة خفيفة على باب ضخم،و هذا لم لمسته من خلال قلّة المصادر أو المراجع أو الدراسات التي تعالج هذه القضية ،و ما الوقف و الابتداء إلاّ لمحة بسيطة حاولت من خلالها فتح باب البحث في هذا المجال ،و كان من بين النتائج أنّ المستوى الصوتي يعتبر من الأحرف السبعة التي صرّح بها حديث رسول الله صلى الله عليه سلم.

6- للقراءات القرآنية أثر واسع في الإنتاج الدلالي ،فالآية الواحدة بمثابة آيتين دون اختلاف أو تناقض بينهما ،فلم نجد من خلال المباحث التي مرّت بنا قراءة تنادي بحكم مخالف لقراءة أخرى ،بل برزت معها عظمة الله سبحانه وتعالى الذّي جعل في الحركة و الحرف معجزة خالدة من خلال التكامل بين هذه القراءات.

7- القراءات القرآنية علم جليل جمع بين البلاغة و النحو و الصرف و علم الدلالة و الصوتيات، و هذه العلوم العربية في الحقيقة إذا اجتمعت في قالب واحد فإنّه سيبرز من خلالها وجه من أوجه الإعجاز القرآني الذّي لا زال يحتاج إلى البحث ويمكن طرح التساؤلات التالية لتكون لبنة من اللبنات التي يمكن للباحث أن يبني عليها بحثه:

1- إذا لم يكن المعنى الحقيقي للأحرف السبعة هو هذه التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة ،فهل مصدرها هو رسم المصحف العثماني؟ ،و إذا كان

الأمر كذلك ،فهل نسخ عثمان بن عفان حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم؟

2- القرآن كان محفوظاً في الصدور ،و من قام بنقطه يعدّ من القراء اللذّين نقلوا عن الصحابة ،فكيف لم ترسو الكلمات على وجه واحد يمكن اعتباره قراءة النّبي صلى الله عليه و سلم؟

**توصيات و اقتراحات:**

**1-** على الباحث الذّي يريد الخوض في مثل هذه المسائل الخطيرة خاصة التي تتعلق بقدسية القرآن الكريم أن ينتبه إلى الأحكام التي يصدرها ،لأنّه ربما سيأتي جيل تصبح لديه من المسلمات.

2- إنّ الأمور المشتبهة لا يمكن الفصل فيها ،و أما هذه الآراء المطروحة من خلال هذا البحث ما هي إلاّ اجتهاد يحتمل الخطأ و الصواب.

3- القراءات باب واسع يحتاج إلى الإحاطة بالموضوع من كلّ جوانبه من خلال المصادر التي تركها لنا علماؤنا.

4- يمكن لعلم الدلالة أن يستفيد بقدر كبير من علم القراءات الذّي يطرح جملة من النظريات حول بنية الكلمة و دلالتها.

# قائمة المصادر و المراجع

**– القرآن الكريم**

**المصادر و المراجع:**


**1–** الإبانة عن معاني القراءات ،مكي بن أبي طالب القيسي،تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي،دار النهضة مصر.

**2–** الإتقان في علوم القرآن،جلال الدين السيوطي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.

**3–** إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمّى منتهى الأماني و المسرّات في علوم القراءات،أحمد بن محمد البنّا،تحقيق شعبان محمد إسماعيل،مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة،ج1.

**4–** أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية،عبد العال سالم مكرم،مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ،ط2(1417هـ- 1996م).

**5–** أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية،عبد العال سالم مكرم،مصر،(1389هـ-1979م).

**6–** الأحرف السبعة للقرآن،أبو عمرو الداني،تحقيق عبد المهيمن طحّان،دار المنارة ،الطبعة الأولى.

**7–** الأحرف القرآنية السبعة،عبد الرحمن المطرودي،دار عالم الكتب ،ط1(1411هـ-1991م).

**8–** الاختيار عند القراء مفهومه،مراحله،و أثره في القراءات،أمين بن إدريس.

**9–** أصول النحو،سعيد الأفغاني،مطبعة الجامعة السورية،الطبعة الثانية،(1413هـ-1993م).

**10–** أصل القراءات القرآنية بين حقائق التاريخ و دعاوى المبطلين،غانم قدوري الحمد.

**11–** إعجاز القرآن،للباقلاني،تحقيق السيد أحمد صقر،دار المعارف،مصر ،الطبعة الثالثة.

**12–** الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة،أحمد بن محمد الخراط،مجمع الملك فهد للطباعة و النشر (1426هـ).

**13–** الإعجاز البياني للقرآن و مسائل ابن الأزرق،عائشة عبد الرحمن،دار المعارف مصر.

**14–** إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي،دار الكتاب العربي بيروت 1990م.

**15–** إعجاز القراءات القرآنية ،دراسة في تاريخ القراءات و اتجاهات القراء، صبري الأشوح،مكتبة القاهرة.

**16–** الإمام محمد الطاهر بن عاشور و منهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير و التنوير،محمد بن سعد بن عبد الله القرني.

**17–** البحر المحيط،لأبي حيان ،مكتبة النصر الحديثة ،الرياض.

**18–** البرهان في علوم القرآن، بدر الدين بن محمد بن عبد الله الزّركشي،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار الجيل بيروت–لبنان.

**19–** تاريخ القرآن الكريم،محمد سالم محيسن،دار الأصفهاني للطباعة،جدة.

**20–** تحبير التيسير لابن الجزري في القراءات،تحقيق عبد الفتاح القاضي و الشيخ محمد صادق القمحاوي،دار الكتاب العربي.

**21–** تفسير التحرير و التنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر،ج1.

**22–** تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي،دار هجر للطباعة و النشر،ج1.

**23–** تفسير القرآن العظيم،أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير،الطبعة الجديدة،دار ابن حزم.

**24–** التفسير الكبير ،فخر الدين الرازي،دار الإحياء ،بيروت.

**25–** التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، أحمد سعد محمد، مكتبة الآداب 19 القاهرة.

**26–** التيسير في القراءات السبع،أبو عمرو الداني، مطبعة الدولة،الطبعة الأولى، (1349هـ–1930م).

**27–** جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،أبو جعفر بن جرير الطبري ،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي،دار هجر للطباعة و النشر، الطبعة الأولى (1422هـ 2001م).

**28–** الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ،تحقيق عبد الرزاق المهدي،دار الكتاب العربي بيروت لبنان،ط5 (1423هـ–2003م).

**29–** جمع القرآن الكريم حفظاً و كتابة، علي بن سليمان العبيد،دار الفداء للطباعة و النشر،الطبعة الثانية،(1425هـ–2005م).

**30–** الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1971، ط1 2007م-1428ه، ج1.

**31–** الخصائص لابن جني،تحقيق محمد علي النجار،مصر (1371هـ-1952م).

**32–** الدراسات النحوية و اللغوية عند الزّمخشري،فاضل السامرائي،مطبعة الإرشاد بغداد، (1390هـ-1971م).

**33–** الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي،تحقيق الدكتور احمد الخراط،دار القلم دمشق (1406هـ- 1986م).

**34–** دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية،عبد القادر بن محمد عطا صوفي،ط1،دار أضواء السلف للنشر و التوزيع 2005م.

**35–** الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري،فاضل السامرائي،مطبعة الإرشاد بغداد.

**36–** دلائل الإعجاز،الإمام أبي بكر عبد القاهر الجرجاني،تحقيق محمود محمد شاكر،مكتبة الخانجي القاهرة.

**37–** رسم المصحف و ضبطه بين التوقيف و الاصطلاحات الحديثة،شعبان إسماعيل،دار السلام.

**38–** روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،لشهاب الدين الآلوسي،إدارة المطبعة المنيرية،دار إحياء التراث العربي،بيروت.

**39–** السبعة في القراءات لابن مجاهد ،تحقيق شوقي ضيف،دار المعارف مصر 1972م.

**40–** شرح كتاب التيسير للداني في القراءات، أبو محمد المالكي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوض ،دار الكتب العلمية بيروت، ط1 2003م.

**41–** شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد ،زكريا الأنصاري،الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم،ط1.

**42–** الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،الجوهري إسماعيل بن حماد،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين،بيروت،ط2(1399هـ-1979م).

**43–** الطراز للعلوي،دار الكتب العلمية،بيروت.
**44–** طيبة النشر في القراءات العشر،ابن الجزري،تحقيق محمد تميم الزعبي،مكتبة دار الهدى.
**45–** العدول في القرآن الكريم على وفق نظرية التلقي(دراسة أسلوبية)،بثينة خضر محمد.
**46–** علم القراءات–مفهومه ،نشأته،مصدره،أقسامه ومدارسه، منصور كافي،دار العلوم للنشر و التوزيع.
**47–** عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم،أحمد بن محمد الخراط،دار العلوم للنشر و التوزيع.
**48–** العين،الخليل بن أحمد الفراهيدي،تحقيق مهدي المخزومي ،إبراهيم السامرائي،دار الرشيد للطباعة و النشر.
**49–** فتح القدير للشوكاني،دار إحياء التراث العربي،بيروت.
**50–** في الأدب الجاهلي،طه حسين، مطبعة فاروق،ط3 ،1933م.
**51–** في علوم القراءات مدخل و دراسة و تحقيق، رزق الطويل،المكتبة الفيصيلية،مكة المكرّمة.
**52–** القراءات التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره و الرد عليه من أول القرآن إلى آخر سورة التوبة ،محمد عارف عثمان موسى الهرري، الطبعة الأولى (1406ﻫ).
**53–** القراءات القرآنية تاريخ و تعريف ،عبد الهادي الفضلي ،دار القلم بيروت ،الطبعة الثانية.
**54–** القراءات عند ابن جرير الطبري في ضوء اللغة و النحو ،المجلد الأول،دار العلوم للنشر و التوزيع.
**55–** القراءات في نظر المستشرقين و الملحدين، عبد الفتاح عبد الغني القاضي،دار مصر للطباعة.
**56–** القرآن و القراءات و الأحرف السبعة،عبد الغفور محمود جعفر ، دار السلام، ج1،ط1،2007م.
**57–** القراءات القرآنية نشأتها ،أقسامها،حجّيتها،خير الدين سيب،دار الخلدونية الجزائر العاصمة.
**58–** القراءات و اللغويات في معاني القرآن للزّجاج،رقية محمد صالح إبراهيم الحزامي،رسالة دكتوراه.

**59–** الكامل في اللغة و الأدب،أبو العباس المبرّد،تحقيق الدكتور زكي مبارك،دار القلم للنشر و التوزيع ،بيروت،الطبعة الأولى (1377هـ-1958م).
**60–** الكتاب ،لسيبويه تحقيق عبد السلام هارون ،الطبعة 3(1403هـ-1983م)،مصر.
**61–** كتاب المصاحف،أبو بكر السجستاني (ت316هـ)،تحقيق محب الدين واعظ،دار البشائر الإسلامية،ط1(1415هـ-1995م)،ط2(1423هـ-2002م).
**62–** الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،للزمخشري،مطبعة مصطفى البابي،مصر.
**63–** الكشف عن وجوه القراءات ،لمكي بن أبي طالب،تحقيق محي الدين رمضان،دار الرسالة بيروت (1418هـ/1998م).
**64–** اللباب في علوم الكتاب،عمر بن علي الدمشقي الحنبلي،تحقيق،عادل عبد الموجود و علي معوض،ط1،دار الكتب العلمية بيروت.
**65–** لسان العرب،ابن منظور،دار صادر،بيروت.
**66–** مجاز القرآن ،لأبي عبيدة،تحقيق محمد فؤاد،مصر مكتبة الخانجي.
**67–** المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،لابن عطية،تحقيق المجلس العلمي،مكتبة ابن تيمية،القاهرة.
**68–** مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة و النحو،مهدي المخزومي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي،مصر ،ط2 (1377هـ- 1958م).
**69–** المدارس النحوية أسطورة و واقع،إبراهيم السامرائي،دار الفكر للنشر و التوزيع،عمّان،الطبعة الأولى (1987م).
**70–** المذاهب الإسلامية ،جولد زيهر،ترجمة علي حسن عبد القادر،ط1 (1944م)،مطبعة العلوم بشارع الخليج.
**71–** مذاهب التفسير الإسلامي،أجنس جولد زيهر.
**72–** المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز،أبو شامة المقدسي دار وقف الديانة أنقرة،تركيا.
**73–** مسند الإمام أحمد.
**74–** معاني القرآن وإعرابه،للزجاّج أبي إسحاق إبراهيم ،تحقيق عبد الجليل شلبي ،عالم الكتب،ط1.

**75–** معاني القرآن للفراء،تحقيق أحمد يوسف نجاتي،دار السرور بيروت.

**76–** معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأمصار،شمس الدين ابن عثمان الذهبي ،تحقيق طيار آلتي قولاج اسطنبول 1995م.

**77–** المعنى وظلال المعنى،أنظمة الدلالة في العربية ،محمد محمد يونس علي،دار المدار الإسلامي،الطبعة الثانية،مارس (2007م).

**78–** مفتاح العلوم للسكاكي،تحقيق نعيم زرزور،دار الكتب العلمية،بيروت،الطبعة الثانية،1407هـ.

**79–** المكتفي في الوقف و الابتداء في كتاب الله تعالى،أبو عمرو الداني،تحقيق يوسف المرعشلي،مطبعة الرسالة ،بيروت.

**80–** مناهل العرفان في علوم القرآن،عبد العظيم الزرقاني،تحقيق فؤاد أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي،ط1(1415هـ- 1995م)،القاهرة 1943م.

**81–** موسوعة كشاف الاصطلاحات و العلوم،محمد علي التهنوي،تحقيق علي دحروج،مكتبة لبنان.

**82–** الموضح في وجوه القراءات و عللها،ابن أبي مريم نصر بن علي الشيرازي الفارسي،تحقيق عمر حمدان،ط1.

**83–** النشر في القراءات العشر ،أبو الخير ابن محمد الجزري، مطبعة مصطفى محمد-مصر.

**84–** الوافي في شرح الشاطبية ،عبد الفتاح عبد الغني القاضي،مكتبة الدار ،المدينة النبوية،الطبعة الأولى،(1404هـ-1983م).

# فهرس موضوعات البحث


مقدمة.....أ– هـ

الفصل الأوّل: المسار التاريخي للقراءات القرآنية.....1–57

تمهيد:.....1– 2

المبحث الأوّل: القراءات بين المثال و الواقع.....3– 16

المبحث الثاني: الأحرف السبعة بين الإثبات و النسخ.....18– 31

المبحث الثالث: القراءات القرآنية بين التوقيفية و التوفيقية.....32– 36

المبحث الرابع: مقاييس قبول القراءة.....38– 44

المبحث الخامس: تعدّد القراءات في ضوء القوانين الصارمة للنحو.....45– 57

الفصل الثاني:مستويات الإنتاج الدلالي للقراءات.....59– 150

تمهيد:.....59– 62

المبحث الأوّل:الوقف و الابتداء.....64– 78

المبحث الثاني: الإبدال في الحروف.....80– 99

المبحث الثالث: الحرف بين الإثبات و الحذف.....101– 116

المبحث الرابع: الإبدال في الحركات الإعرابية.....118– 131

المبحث الخامس: الإبدال في الحركات غير الإعرابية.....133– 150

الخاتمة:.....151– 152

**فهرس المصادر و المراجع:.....153– 158**

**فهرس موضوعات البحث:.....159– 160**

## ملخص

يتضمن البحث فصلين الأول بعنوان المسار التاريخي للقراءات القرآنية الذي يجسد مرحلة تناوب بين القرآن و القراءات في الدراسة و البحث تطرقت فيه لمصطلح الاختلاف و علاقته بالهجمات التي يشنها أعداء الإسلام على القرآن من باب القراءات كما عالجت فيه قضية إثبات الأحرف السبعة و نسخها التي بقيت الإشكال المطروح في هذا البحث.أما الفصل الثاني فهو فصل تطبيقي يبين الخطأ الذي وقع فيه الكثير من الباحثين في الفصل بين القراءات حيث يجسد التكامل بينها من خلال خمسة مباحث.و ينتهي البحث بخاتمة تمثل حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها بالإضافة إلى أهم الإشكاليات التي بقيت مطروحة في هذا البحث بالإضافة إلى أهم التوصيات المتعلقة بالبحث في القراءات القرآنية.



**الكلمات المفتاحية :**

القراءات؛ القرآن؛ الأحرف السبعة؛ التوقيفية؛ التوفيقية؛ المعنى؛ الأثر؛ التعدد؛ التكامل؛ الدلالة.


**نوقشت يوم 24 جوان 2015**